



UNIVERSITY OF CALICUT
SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION

M A Arabic
(2019 Admission Onwards)

CLASSICAL ARABIC
LITERATURE

Self-Learning Material

I SEMESTER

CORE COURSE - ARA1C04

190104

CLASSICAL ARABIC LITERATURE

STUDY MATERIAL

I SEMESTER

CORE COURSE - ARA1C04

M A Arabic
(2019 Admission Onwards)



UNIVERSITY OF CALICUT
SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION

Calicut University- PO, Malappuram,
Kerala, India - 673 635



UNIVERSITY OF CALICUT
SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION
STUDY MATERIAL FIRST SEMESTER

M A Arabic
(2019 Admission Onwards)

CLASSICAL ARABIC
LITERATURE

CORE COURSE - ARA1C04

Prepared by :

Sri. Abdussalam K.

*Assistant Professor .
Department of Arabic
University of Calicut*

Smt. Fathima Zuhra Panchali

*Assistant Professor on Contract (Afzal - Ulama)
School of Distance Education,
University of Calicut*

Scrutinized by:

Dr. Abdul Lathief P.P

*Assistant Professor, Dept of Arabic
Thunchan Memorial Govt. College, Tirur*

المحتويات

Module I: Arabic Literature in Pre-Islamic Period

الوحدة الأولى: الأدب العربي في فترة ما قبل الإسلام

6	عصور الأدب العربي
8	الأدب في العصر الجاهلي
9	الشعر الجاهلي
21	شعراء المعلقات
27	النثر الجاهلي

Module II: Arabic Literature in Islamic Period

الوحدة الثانية: الأدب العربي في العصر الإسلامي

42	عصر صدر الإسلام
44	موقف الإسلام من الشعر والشعراء
45	الشعراء المخضرمون
54	الخلفاء الراشدون والشعر العربي
56	النثر في العصر الإسلامي
61	إعجاز القرآن الكريم
64	التفسير وعلومه
67	الحديث النبوي
69	الصحاح الستة

Module III: Arabic Literature in Umayyad Period

الوحدة الثالثة: الأدب العربي في العصر الأموي

- 72 الأدب في العصر الأموي
- 75 الشعر في العصر الأموي
- 83 النثر في العصر الأموي

B. Detailed Study. دراسة تفصيلية

Module IV: Prose

- 88 سورة النور (صفوة التفاسير)
- 142 كتاب العِلْم (صحيح البخاري)
- 180 خطبة قُسن بن ساعد الإيادي
- 182 خطبة أبي بكر عند تولية الخلافة
- 183 وصية أمامة بنت الحارث إلى ابنتها أم غياث

Module V: Poetry

- 188 معلقة عنتره
- 197 معلقة زهير بن أبي سلمى
- 206 قصيدة ضمان المعروف وقاري الضيوف للنساء
- 209 قصيدة فرزدق: هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

Module I

Arabic Literature in Pre-Islamic Period

الأدب العربي في فترة ما قبل الإسلام

- Pre-Islamic Poetry: Origin and development of pre-Islamic poetry, Sources of poetry, Salient features, Place of poetry in the Arab life, Important poetry collections, Mu'allaqat and authors, Other important Pre-Islamic poets.
- Development of Prose in Pre-Islamic Period, Oratory and orators, Saj', Proverbs and other forms of prose, Literature in Pre-Islamic Period

عصور الأدب العربي

إنَّ الحديث عن عصور الأدب العربي هو حديث عن الفترات الزمنية الكثيرة التي مرَّ بها الأدب العربي في تاريخه، وقد سُمِّيت هذه الفترات الزمنية وفقاً لعوامل كثيرة، فُسِّبِي الأدب في العصر الذي حَكَم فيه الأمويّون بالأدب الأمويّ نسبةً لبي أمية، وهذا حال بقيّة العصور أيضاً، أمّا فيما يتعلّق بعصور الأدب كاملة فيظن كثير من الناس أنّ النقاد استقرُّوا واتفقوا على تقسيم صريح لعصور الأدب، ولكنَّ الحقيقة أنّهم لم يتفقوا بعد على الفترة الزمنية لكل عصر بدقة تامّة، ولعلَّ تقسيم الدكتور شوقي ضيف هو التقسيم الأبرز لعصور الأدب. ومما يقسم الأدب العربي:

العصر الجاهلي: هو ذلك العصر الذي يمتد قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بـ 150 عام تقريبا ومن أشهر الشعراء في ذلك العصر (امرئ القيس، عنتر بن شداد العبسي، لبيد بن ربيعة... إلخ)

عصر صدر الإسلام: وهو ذلك العصر الممتد من بعثة النبي ﷺ إلى آخر الخلفاء الراشدين هو علي بن أبي طالب τ سنة 40 هـ ومن أشهر الشعراء في ذلك العصر (حسان بن الثابت τ وكعب بن زهير τ ... إلخ)

عصر بني أمية: وهو ذلك العصر الممتد من بعد مقتل الخليفة علي بن أبي طالب τ إلى أن انتهت الدولة الأموية سنة 132 هـ على يد أبو مسلم

الخرساني. ومن أشهر الشعراء في ذلك العصر (الفرزدق، جرير، الأخطل.....إلخ)

عصر بني العباس: وهو ذلك العصر الممتد بنهاية الدولة الأموية سنة 132هـ إلى سنة 656هـ عندما انتهت الدولة العباسية على يد المغول.

ومن أشهر الشعراء في عصر بني العباس (أبو الطيب المتنبي.....إلخ)

عصر الدول المتتابعة: وهو ذلك العصر الذي حكم فيه المماليك والأتراك وانتهى سنة 1213هـ، من أشهر الشعراء في ذلك العصر (شريف الدين الأنصاري، الشاب الظريف...إلخ)

العصر الحديث: هو ذلك العصر الممتد من أوائل القرن الثالث عشر إلى الآن. ومن أشهر الشعراء في (أحمد شوقي، أبو القاسم الشابي، جبران خليل جبران، محمود درويش...إلخ)

الأدب في العصر الجاهلي

يُعرّف الأدب الجاهلي على أنّه ما كُتب من نثر وشعر في العصر الجاهليّ تحديداً، والعصر الجاهلي هو الفترة الزمنية التي تمتد منذ حوالي ثلاثة وسبعين عامًا قبل الإسلام، وقد وجد اللاحقون هذا الأدب وهذه النصوص الأدبيّة بسبب جهود من حفظوا الشعر ونقلوه دون خطأ أو نحل، حتّى جاء عصر التدوين أو الكتابة، واشتهر المدوّنون الذين حفظوا الشعر الجاهلي حتّى هذه الأيام، وقد انقسم الأدب في العصر الجاهلي إلى قسمين رئيسيّين هما الشعر والنثر، وكانت الأولية للشعر على النثر واضحةً جدًّا، فقد اشتهر الشعراء وذاع صيتهم وعظّم شأنهم، حتّى كانت القبيلة العربية تفتخر بشعرائها، ويُعدّ العصر الجاهلي عصرَ المعلّقات العشر، وهي القصائد التي اختيرت من قبل النقاد وصُنفت في مرتبة أعلى من غيرها، ومن شعراء المعلّقات: امرؤ القيس والأعشى وعنترة بن شداد وعمرو بن كلثوم وطرفة بن العبد والنابغة الذبياني وغيرهم، أمّا النثر فكان له أيضًا مكانة رفيعة بين الناس، إذ اشتهرت الخطب والوصايا والسجع، لا سيّما سجع الكهّان، كما اشتهرت الرسائل الجاهلية أيضًا، وكانت الخطابة أشهر الفنون النثرية وأرفعها مكانة عند الجاهليين، وجدير بالذكر أنّ العصر الجاهلي ينتهي ببعثة رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- حيث يعدّ ظهور الإسلام بداية الأدب الإسلامي ونهاية العصر الجاهليّ.

الشعر الجاهلي

إن الحديث عن تاريخ الشعر الجاهلي يقودنا إلى البحث في أصل الكلمة 'الجاهلية' فنجد أن القرآن الكريم أول من أطلق هذه اللفظة تحت مسمى الجاهلية الأولى حيث يقول سبحانه في معرض الآية 33 من سورة الأحزاب: "وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى". والجاهلية الأولى أو العصر الجاهلي تعني تلك الفترة التي سبقت الإسلام، ومنه أخذ الشعر المسمى نفسه.

والجاهلية لا تعني الجهل الذي هو عكس العلم، بل يقصد بها السفه والغضب كما وضحتها لنا الدكتورة شوقي ضيف حيث قال: 'وينبغي أن نعرف أن كلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم ونقيضه، إنما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب.

نشأة الشعر الجاهلي

إن تحديد زمن العصر الجاهلي عامة والشعر الجاهلي خاصة هو أمر غير معلوم ولم يصلنا منه أي تدقيق، لكن ينسب عموماً كما أشرنا إلى الفترة التي سبقت الإسلام وتقريباً 150 إلى 200 سنة هي المدة التي

انبرى فيها الموروث الشعري الجاهلي الذي وصل إلينا، وقبل ذلك كان مجهولا.

وفي ذلك يقول الجاحظ: ' أما الشعر العربي فحديث الميلاد صغير السن، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلل بن ربيعة. فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له - إلى أن جاء الله بالإسلام - خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمئتي عام .

منزلة الشعر الجاهلي

يعد أن الشعر ديوان العرب ومركز أخبارهم ومنبع فخرهم، فالشاعر كان معظماً في قبيلته وتقدم له الهدايا والعطايا، فهو لسانها المنافح عنها أمام القبائل، وأبيات شعره يكون وقعها أشد من السيف على شرف المرء ومروءته. لكن أن تكون شاعرا ليس بالأمر الهين فتلك ملكة تحتاج إلى نبوغ أشبه بقوة سحرية أو حتى شيطانية، فلطالما اعتقد العرب في القديم أن الجن هي من تلقي على ألسنتهم الشعر وتختار الشخص المميز لذلك.

وكانت كل قبيلة تهئ جارتها التي ينبغ فيها شاعر، لأنه يمثل لسان التاريخ بأسره، بل يعتبر نبي قبيلته وزعيمها في السلم وبطلها في الحرب، تطلب الرأي عنده في البحث عن مراع جديدة، وبكلمته وحدها تضرب الخيام وتحلّ.

مكانة الشاعر عند العرب

كان موطن الشعر الجاهلي ومنشأه البادية من نجد والحجاز وما إلى ذلك من شمالي الجزيرة العربية. كان الشاعر في الجاهلية نبي القبيلة وزعيمها في السلم وبطلها في الحرب، وكانت كل قبيلة تحرص على أن يكون لها شاعر. وكانت القبائل تقيم الأعياد إذا نبغ فيها شاعر لأنه صحافي القبيلة، وكان لكل شاعر راوية يلازمه ويرويها كل ما قال من الشعر. وعلى مرور الأيام بدأوا يتبارون ويتنافسون بينهم في أسواقهم أمام أحد الشعراء الفحول. هكذا اختاروا بعض القصائد في الأسواق الجاهلية وكتبوها في الجلود والحير وعلقوها في الكعبة أو في ناديتهم.

وقد قسم النقاد الشعراء الجاهليين إلى طبقات ثلاث باعتبار جودة شعرهم وكثرتهم: (أ) الطبقة الأولى: امرؤ القيس، زهير بن أبي سلمى، النابغة الذبياني (ب) الطبقة الثانية: الأعشى، لبيد بن ربيعة،

طرفة بن عبد،(ت) الطبقة الثالثة : عنتره بن شداد، دريد بن الصمة،
أمية بن أبي الصلت

وكان في هذا العصر بعض الشعراء يأخذون شعرهم بمأخذ
الجد فيقومون بالعناية والتنقيح، ومنهم النابغة الذبياني وزهير
والحطيئة وغيرهم، وكان هناك نفر آخر مطرودين من البيت والقبيلة
لسوء تصرفهم فكانوا يتشردون في البلاد ويقومون بالنهب والسلب
والغصب ويقولون الشعر في الأغراض المختلفة ولا يدينون لأي قانون
في الحياة، وهؤلاء الفرقة تعرف بالصعاليك، منهم الشنفرى، تأبت شرا
وغيرهما.

أغراض الشعر الجاهلي

نشأ الشعر الجاهلي متأثراً بطبيعة الشاعر الذي يحكي ما يعيشه في
بيئته ومحيطه، وبالتالي كانت أغراض الشعر الجاهلي تندرج ما بين:

الوصف: كان الشاعر مرتبباً بأرضه وبأديته فشكّل ذلك مادة خصبة لأشعاره، كذلك كان يترك العنان لخياله في وصف رحلاته وراحلته أو الوقوف على أطلال ذكرى له.

المدح: كان الشاعر رمز قبيلته ولسانها وبالتالي سخّر هذا اللسان في مدح زعماء قبيلته وساداتها وفرسانها، وتعدى ذلك لكل من كان يحمل صفات النبل والكرم والإباء.

الثناء: كان مديحاً في حد ذاته لكن بطابع بكائي يعدد مثالب الميت ومكارمه ويدعو لأخذ الثأر للمقتول.

الهجاء: إذا كانت الحروب تقوم على القوة والسيف فإن لسان الشاعر كان أشد منها وقعا لما له من أثر خالد لا يموت، فالقبائل المتحاربة كانت تتقاتل لسانياً بشعرائها، كل شاعر يسقي القبيلة العدو سما من الكلمات المخزية، والتمتكن صاحب النفس الطويل هو من كان يصمد حتى ينتصر لقبيلته.

الفخر: كان الشاعر معتدا بنفسه وقبيلته حيث يرجع إلى أصوله الكريمة فيفخر بأجداده ويعتز بدمائه وشرفه.

الغزل: الحب والعشق شعور ضارب في القدم وعليه فإن الشاعر أحب وعشق المرأة، فنسجت قريحته ديباجة تحوي أرق الأبيات وأجودها، مع العلم أن الغزل كان عفيفاً في بعض جوانبه وماجناً في البعض الآخر.

بالإضافة إلى هذه الأغراض المشهورة، فقد كان الشاعر يفخر بسهراته
الماجنة التي تتغنى بشرب الخمر، وفي المقابل وعلى النقيض كان هنالك
شعراء الزهد والحكمة الذين يدعون إلى التفكير في الحياة وزوالها
والتحلي بمكارم الأخلاق.

مصادر الشعر الجاهلي

إذا تحدثنا عن أهم مصادر ودواوين الشعر الجاهلي التي جمعها الرواة
ودونوها في مختلف كتب التاريخ والطبقات واللغة، فسنتقف عند:

1 المُلَعَّات

المُلَعَّات بحسب معجم المعاني الجامع هي عبارة عن قصائد تعود
للعصر الجاهلي يبلغ عددها سبعة أو ثمان ويقول البعض بأنها عشرة،
وهناك أسماء عدّة للمُلَعَّات مثل السموط وهو الخيط الذي يجمع
حبّات العقد مع بعضها البعض، وقد قيل لها معلقات لأنّها مثل
العقود النفيسة تعلق بالأذهان. ويقال أن هذه القصائد كانت تكتب
بماء الذهب وتعلق على أستار الكعبة قبل مجيء الإسلام، وسُمِّيت
أيضاً بالمذهبات لأنّها كانت تكتب بماء الذهب، كما سمّيت أيضاً
بالمُنْتَقِيَات والطوال والمشهورات، وتمتاز المُلَعَّات بطولها وفصاحة
الفاظها وكثرة معانيها وتنوعها، كما أنّ للمُلَعَّات قيمة أدبية كبيرة جداً
وذلك لأنّها تصوّر الحياة في العصر الجاهلي بما تحتويه من البيئة

والنّاس والعادات وغيرها، كما أنّ المُعلّقات تناولت العديد من المواضيع المختلفة، ويعتبر شعراء المُعلّقات من أهم وأشهر شعراء العصر الجاهلي.

وقيل إن حماد الراوية هو أول من جمع القصائد السبع الطوال وسماها بالمعلقات (السموط). وكان يقول أنّها من أعذب ما قال العرب وأن العرب كانوا يسمونها بالسموط (المعلقات). وأصحابها عند حماد الراوية - أول من جمع القصائد السبع الطوال - سبع: امرؤ القيس وزهير بن أبي سلمى، وطرفة بن العبد ولبيد بن ربيعة، وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة، وعنترة بن شداد.

ويبلغ عدد المُعلّقات سبع معلّقات وفي مقولة أخرى يقال بأنّ عددها عشر معلّقات، إلا أنّ الرأي الراجح أكثر هو أنّ عددها سبع معلّقات وتمّ إضافة ثلاث معلّقات ليصبح عددها عشر معلّقات.

2 المفضليات

نسبة إلى جامعها المفضل الضبي راوي الكوفة الثقة، وهي 126 قصيدة أضيف إليها أربع قصائد وجدت في بعض النسخ، وقد مثلت هذه القصائد جوانب الحياة الجاهلية وعلاقات القبائل، وانطبعت في كثير منها البيئة الجغرافية.

وهي موزعة على 67 شاعرا منهم 47 جاهليا وعلى رأسهم المرقشان الأكبر والأصغر والحارث بن حلزة والشنفرى وتأبط شرا. وقد جاء فيها غير قليل من الكلمات المندثرة التي لم ترد في في المعاجم اللغوية على كثرة ما أثبتت من الألفاظ المهجورة، مما يرفع الثقة بها ويؤكد لها.

3 الأصمعيات

نسبة إلى راويها الأصمعي، وقد نشرها الورد عن نسخة سقيمة في برلين سنة 1902 وأعاد نشرها عبد السلام هرون وأحمد شاكر، وقد بلغ عدد قصائدها ومقطوعاتها 92، وهي موزعة على 71 شاعرا منهم نحو 40 جاهليا على رأسهم امرؤ القيس والحارث بن عباد ودريد وطرفة وعروة بن الورد.

وقد جاء فيها أيضا كثير من الكلمات المهجورة التي لم تثبتها المعاجم، غير أنها لم تلعب الدور الذي لعبته المفضليات فلم يتعلق بها الشراح، ولعل ذلك يرجع إلى قلة غريبها بالقياس إلى المفضليات، وأيضا فإن الأصمعي لم يرو كثيرا من القصائد كاملة، بل اكتفى بمختارات منها.

4 جمهرة أشعار العرب

لصاحبها أبي زيد القرشي، وتضم 49 قصيدة طويلة موزعة على سبعة أقسام، في كل قسم سبع قصائد، والقسم الأول خاص بالمعلقات، ويليه المجمعرات وهي لعبيد بن الأبرص وعدي بن زيد وبشر بن أب خازم وأمينة بن أبي الصلت وخداش بن زهير والنمر بن تولب وعنترة.

ويلي ذلك المنتقيات أي المختارات، ثم المذهبات وجميعها لشعراء من الأنصار جاهليين أو مخضرمين، وربما قصد باسمها أنها تستحق أن تكتب بالذهب، ثم عيون المرثي، ثم المشوبات، وهي لمخضرمين، شابهم الكفر والإسلام، ثم الملحمت وجميعها لإسلاميين. وهي مجموعة غنية بالقصائد الطويلة ولكنها غير موثقة الرواية.

ومن هذه المختارات أيضا ديوان الحماسة لأبي تمام، وديوان الحماسة للبحراني، ومختارات ابن الشجري، وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة.

خصائص الشعر الجاهلي

يتمتع الشعر الجاهلي بعدة مزايا وخصائص تميزه عن غيره من الشعر، ومن أهمها:

- إن القصيدة تتخذ نمطا تقليديا ثابتا في الأوزان والقوافي، ويحترم الوحدة الموسيقية
- ينسج أبيات قصيدته على أمواج البحور الشعرية المعروفة.
- تفتح دائما بمقدمة طَلَلِيَّة والبكاء على الديار. وصف رحلاتهم وراحلتهم والتغني بجمالية الطبيعة وقسوتها في آن واحد.

● الانتقال إلى الغرض الحقيقي الذي نظمت من أجله القصيدة كالممدح أو الفخر أو الرثاء.. الخ.

ومن خصائص الشعر الجاهلي أيضا

من الناحية المعنوية:

الطابع البدويّ، والصِّلَة بالبيئة: فالشِّعر الجاهليّ يُعتبر مرآةً لحياة البادية بمختلف نواحيها؛ حيث صوّر في مضمونه المعالم الجغرافيّة، والظواهر الكونيّة، والنباتات، بالإضافة إلى وصف حيوانات البادية، ونظام المجتمعات البدويّة من البيوت، والدِّيار، والقوافل.

الواقعيّة، والوضوح: استطاع الشِّعر الجاهليّ تقديم صورة بسيطة، وواضحة، وواقعيّة للبيئة، بحيث تناسَب هذا التصوُّر مع الفطرة البدويّة، والمجتمع البدويّ، كما أنّ الوضوح، والبساطة، عنصران يدلّان على عقليّة هادئة، ومُستقرّة، لا تعتلّمها الفلسفة، أو الغموض، والبساطة التي نقصدها هنا هي ليست السداجة؛

الإيجاز: لجأ شعراء الشِّعر الجاهليّ عند نَظْمه إلى تجنُّب التأمل، والإطالة في مضمون الشِّعر؛ فطبيعة الحياة البدويّة كانت سريعة، وذات حركة دائبة، ومُستمرّة.

البساطة في التفكير: حيث تضمّن الشّعْر الجاهليّ تراكيب، ومعانٍ بسيطة لا يعتملها التعقيد، أو الغموض، بحيث تناسب هذه البساطة في المعاني مع حياة الشعراء، وأسلوب تفكيرهم.

الحياة، والحركة: تميّزت الصورة الشعريّة في الشّعْر الجاهليّ بالحركة، ومطابقتها للواقع، وهي تُشبه في ذلك الأجسام الحيّة التي تتحرّك، وتدور، وتجري، وتتكلّف في بعض الأحيان.

الروح الجماعيّة: تظهر الروح الجماعيّة واضحة في الشّعْر الجاهليّ؛ لأنّ الشعراء تحدّثوا في معظم أشعارهم عن القبيلة؛ فكانت هذه الأشعار تتضمّن صيغة الجمع، كما أنّ النواحي الشخصية ظهرت في الشّعْر الجاهليّ؛ إذ إنّهُ شعر وجدانيّ.

من الناحية الشكلية:

المحافظة على التقاليد الشعريّة: حيث التزم الشعراء عند نظّمهم للشّعْر بمجموعة تقاليد مُحدّدة في مختلف قصائدهم، ومن هذه التقاليد: الوقوف على الأطلال، والبكاء، وخطاب الأثار، أو الأصدقاء، ثمّ وصف الشاعر لحاله؛ بسبب رحيل الحبيبة، ووصف جمالها، وبعد ذلك، ينتقل إلى غرضه الرئيسيّ في القصيدة،

العناية بالألفاظ، والعبارات: حيث كان الشعراء (خاصّة أصحاب الحوليّات) يمنحون اهتماماً كبيراً للألفاظ الشعريّة في شعرهم،

ويتحرّونها بشكل جيّد بحيث تُؤدّي معناها، وغرّضها، وتؤثّر بمحتواها في السامعين.

الوَحْدَة: حيث تميّز الشّعْر الجاهليّ بتحقيق الجرس الموسيقيّ في كافّة مقاطع القصيدة، ممّا يدلُّ على المقدرة اللغويّة العالية لشعراء ذلك الزمن.

صياغة المحسّنات البديعيّة بأسلوب فطريّ: حيث تميّزت المحسّنات البديعيّة في الشّعْر الجاهليّ بالصياغة السليمة، دون تكلف، أو جهد، إذ تضمّنت أشعارهم الاستعارة، والتشبيه، والطباق، والكناية، والاستعارة، والسجع.

قيمة الشعر الجاهلي

لقد ترك لنا الشعر الجاهلي إرثا عظيما أثرى به الخزينة العربية التاريخية، فكان راوية لأخبار الأمم والقبائل، راصدا ومصورا طبيعة حياتهم الاجتماعية والسياسية والفكرية، فكان صلة وصل بين الماضي الغابر، والحاضر المتجدد.

وهو بحق - على رأي الباحثين والنقاد - وثيقة من أهم وثائق تاريخ تلك الأيام، وقد جمع من المعلومات الشيء الكثير حتى سمي بحق " ديوان

العرب ”. فهو يطلعنا على أحوال الجزيرة الطبيعية وجغرافيتها، وهو يطلعنا على أحوال العرب الاجتماعية والعقلية، باسطة لنا أخلاقهم وعاداتهم وأنسابهم ومآثرهم وأيامهم.

شعراء المعلقات

شعراء المعلقات السبع

امرئ القيس

هو امرئ القيس بن حجر بن الحارث من قبيلة كندة اليمنية، وُلد امرئ القيس في عام 130 ق.هـ/497م في مدينة نجد، وقد بدأ في قول الشعر وهو طفل وذلك لتأثره بخاله المهلهل، لُقّب امرئ القيس بالعديد من الألقاب منها الملك الضليل وذو القروح، وتوفي امرئ القيس في أنقرة وذلك في عام 80 ق.هـ/545م، وفيما يلي بعض الأبيات من مُعلّته:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقطِ اللّوى بينَ الدّخولِ فحوْمِلِ

فتوضح فالمقراة لم يَعْفُ رسمها لما نسجتها من جنّوب وشمالِ

طرفة بن العبد

هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن بكر بن وائل، وطرفة هو لقب له واسمه الحقيقي هو عمرو، وُلد طرفة بن العبد في البحرين في عام 539م وتوفي في عام 564م، وفي يلي بعض الأبيات من مُعلّته:

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالٌ بِبُرْقَةٍ تَهْمِدُ تَلُوحُ كِبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ
وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطْمَهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكُ أَسَىً وَتَجَلَّدِ
زهير بن أبي سُلمى

هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني وقد وُلد في مدينة نجد وترعرع في مدينة غطفان، وهو ثالث أشهر شعراء المُعلّقات بعد امرئ القيس وطرفة بن العبد، وكان زهير بن أبي سلمة من المؤمنين بالحياة الآخرة ومن أصحاب الفضيلة الحسنة والشجاعة والحكمة والبحث عن السلام، ويعتبر حكيم شعراء الجاهلية، وكانت تسمّى القصائد التي ينظمها بالحوليات، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أشد المعجبين بشعر زهير، وفيما يلي بعض الأبيات من مُعلّته:

أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةِ الدُّرَاجِ فَاُمْتَثَلَمِ
وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقَمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَاجِعُ وَشَمِّ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ
لبيد بن ربيعة العامري

هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن قيس بن عيلان بن مضر، وأسلم حين جاء مع وفد من قومه إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، وهو أحد شعراء الجاهلية المخضرمين ويلقب بأبا عقيل، وولد لبيد بن ربيعة في عام 534م وتوفي في عام 644م عن عمر يناهز مئة وعشر سنوات، وفيما يلي بعض الأبيات من مُعلّته:

عفتِ الديارُ محلُّها فمُقامُها بمئى تأبَدَ غولُها فَرِجَامُها
فمدافعُ الرِّيانِ عرِيَّ رَسْمُها خلقاً كما ضَمِنَ الوُجِّيَّ سِلامُها

عمرو بن كلثوم

هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن نزار بن معد بن عدنان التغلبي، ويلقب بأبا الأسود أو أبا عمير، وهو أحد شعراء الجاهلية المشهورين، وقد ولد في شمال الجزيرة العربية في عام 450م وتوفي في عام 600م عن عمر يناهز مئة وخمسين عاماً، واشتهر بأنه شاعر القصيدة الواحدة، وكان أكثر الناس عزّة بنفسه، ولملّعة عمرو بن كلثوم أهمية تاريخية لأنها تدلّ على حال العرب قديماً من ناحية الدين والعبادات والأعراف الإجتماعية وغيرها من الأمور، وفيما يلي بعض الأبيات من مُعلّته:

ألا هَيَّ بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الأَنْدَرِينَا

مُسْعَشَعَةً كَأَنَّ الْحُصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءَ خَالَطَهَا سَخِينَا

عنتره بن شداد

هو عنتره بن عمرو بن شداد العبسيّ من أهل مدينة نجد، وأحد أشهر الفرسان العرب في عصر الجاهلية، وكان يلقّب بأبا المغلس أو أبو المعائش أو أبو الوفي، واتصف عنتره بالخصال الحميدة من الشجاعة وعزة النفس والحلم وغيرها من الصفات، هو أهم من قال شعر الفروسية، واشتهر بغزله العفيف، ولد بمنطقة القصيم، أحبّ عبلة ابنة عمه حبا جماً، إذ كانت من أكثر نساء قبيلتها جمالاً، وقال فيها أبيات كثيرة وصف بها حبّه لها، ومناسبة مُعلّقته هو أنّ عنتره كان في مجلس فشتمه وعائره بلونه الأسود رجل من بني عبس فأنشأ مُعلّقة تعتبر من أجمل المُعلّقات التي قيلت في عصر الجاهلية، وفيما يلي بعض الأبيات من مُعلّقته:

هل غادرَ الشُّعراءُ منْ متردِّمٍ أم هلْ عرفتَ الدارَ بعدَ توهمِ
يا دارَ عبلةَ بالجِواءِ تكليّ وعَي صِباحاً دارَ عبلةَ وإسلي

الحارث بن حلزة

هو الحارث بن حلزة بن بكر بن وائل بن أسد بن ربيعة بن نزار، عراقيّ الأصل، وحلزة هو لقب أشهر بها والده فورثه عنه، وُلد في عام 430م وتوفي في عام 580م عن عمر يناهز مئة وخمسين عاماً، وكان من

عظماء قبيلة وائل، كان يفتخر بقومه بني وائل كثيراً حتى ضُرب به المثل في الفخر، لم يبقَ من أخباره الكثير إلا تدخله للاحتكام عند عمرو بن هند من أجل حل المشكلة بين بكر وتغلب، أنشد معلقته المشهورة للدفاع عن قومه. وفيما يلي بعض الأبيات من مُعلّته:

أَذَنْتُنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ
أَذَنْتُنَا بِبَيْنِهَا ثَمَّ وَلَّتْ لَيْتَ شِعْرِي مَتَى يَكُونُ اللِّقَاءُ

أصحاب المعلقات الثلاث التي تم زيادتها فهم:

النابغة الذبياني:

هو زياد بن معاوية من ذبيان، من قبيلة قريش، وقيل عنه النابغة لأنّه كتب الشعر في سنٍّ متأخرة، ولكنّه أبدع به دفعةً واحدة، كان من السادة في قومه، وقد توسّط لقومه عند الغساسنة لمنع الحرب بينهم، كانت علاقته وطيدة بالمانذرة وأولهم المنذر بن ماء السماء، وعمرو بن هند، ولكن علاقته بهم انقطعت بعد ذلك، ومن معلقته:

يا دار ميةً بالعلياء، فالسندِ أقوتَ وطال عليها سالفُ الأبدِ

الأعشى:

هو ميمون بن قيس بن جندل، ولقب بالأعشى لأنّه كان ضعيف البصر وهو من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وكان من الشعراء الوافدين

على ملوك العرب، والفرس، وتخلَّل شعره الكثير من الألفاظ
الفارسية، وقد وَفَدَ على الملوك بسبب حاجته للمال فكان يمدحهم
مقابل الهدايا والأعطيات. ومن معلّته:

ودّع هريرة إنّ الركب مرتحلٌ وهل تُطيق وداعاً أيها الرّجلُ

عبيد بن الأبرص:

هو عبيد بن الأبرص من قبيلة أسد، عاصَرَ امرءَ القيس وكان بينهما
مناظرات ومناقضات شعرية، قُتِلَ على يد المنذر بن ماء السماء، قيل
أنّه من حكماء العرب ودوّهاتهم، وكان يعرف عن شعره بأنه مضطرب،
وهو من شعراء الطبقة الأولى، ومن معلّته:

أقفر من أهله ملحوبٌ فالقُطيبات فالذنوبُ

النثر الجاهلي

النثر لُغَةً رَمِي الشيء متفرقًا، وعكسه النظم فهو الضم والتأليف. ومن ذلك قال الأدباء: كلام منشور إذا كان لا يقيدُه وزن وقافية، وكلام منظوم إذا كان موزونًا مقفًى.

بنى العرب مجدهم الأدبي، في العصر الجاهلي، على الشعر. ومع أن الكتابة كانت معروفة لهم - فإن ما وصل إلينا من نثرهم قليل جدًّا. وكانت الكتابة تقتصر على جوانب تتصل بحياتهم السياسية والاجتماعية والتجارية، من خطب ورسائل، وعقود ووصايا ومواثيق. ومن ميزة النثر الجاهلي أن النثر في الجاهلية موسيقيٌّ كالشعر، تتخلَّله أحيانًا جمل موزونة مسجعة يأتي بها البدويُّ دون تكلف، وأكثر الجمل قصيرة موجزة، فيها قوة وبلاغة تعبير.

فنون النثر الجاهلي وأغراضه

1 الخطابة

ازدهرت الخطابة عند العرب متأخرة في الزمن، لأن الشعر كان متفوقًا عليها، فلما أصبح الشعر مطية للتكسب صارت منزلة الخطيب هي المقدَّمة. واشتهر في العصر الجاهلي خطباء كثيرون، مثل: قس بن ساعدة الإيادي، وهانئ بن قبيصة الشيباني وعامر بن الظرب

العدواني، وعمرو بن كلثوم التغلبي، وأكثم بن صيفي وعمرو بن الأهمم التميميان، وهاشم بن عبد مناف القرشي.

وقد تعددت أغراض الخطابة وأنواعها، إزاء هذا الازدهار، فكانت وسيلة للتحرير على القتال، أو للأخذ بالثأر، وربما كانت في الوقت نفسه سبيلاً إلى إصلاح ذات البين أو إرساء قواعد السلم. وقد تكون في إشاعة المفاخر، والإشادة بالأنساب أمام الملوك وزعماء القبائل، والأمراء. وقد تلقى الخطب في مناسبات الزواج، والمصاهرات بين ذوي الأحساب والأنساب، فيتكلم خطيب من كل جانب. قال الجاحظ: "كانت خطبة قريش في الجاهلية، يعني خطبة النساء: باسمك اللهم ذكرت فلانة، وفلان بها مشغوف. باسمك اللهم، لك ما سألت، ولنا ما أعطيت".

وكانت للخطباء سنن وتقاليد يتبعونها عند إلقاء خطبهم، كأن يقف الخطيب على مرتفع من الأرض، معتمداً على قوسه، أو ممسكاً بعضاً يشير بها، وقد يخطب راكباً على ناقته، ويديه الرمح، وقد لاث العمامة على رأسه.

ومما يمدح به الخطيب عندهم: حضور البديهة، وقلة التلفت، وقوة الجنان، وظهور الحجة، مع جهارة الصوت. وفي مقابل ذلك كانوا يعيبون على الخطيب التنحج، والانقطاع، والاضطراب، والتعثر في الكلام. وقد استقرت للخطابة في العصر الجاهلي مجموعة من

الخصائص الفنية، كان الخطباء يحرصون عليها في خطبهم، منها مراعاة السجع في مقامات الفخر خاصة. أما في خطب المحافل وإصلاح ذات البين، مثلاً، فكانوا يستخدمون الأسلوب المرسل الذي لا يغفل صاحبه - في الوقت نفسه - تجويده وتنقيحه، والتروي فيه، سعياً إلى إثارة السامعين واستمالتهم. وهذا ما جعلهم يؤثرن قصر العبارة في خطبهم، وتوشيحها ببعض الحكم والأمثال، أما الخطبة نفسها فقد تطول، وقد تقصر، ولكل منهما مقام وموضع وقدر من العناية.

وهذه الخطبة قالها «قس ساعدة» في سوق عكاظ قبل ظهور الإسلام، ومما قاله فيها:

"أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا وَعَوَا، مَنْ عَاشَ مَاتَ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ.. مطر ونبات وأرزاق وأقوات وآباء وأمهات وأحياء وأموات جمع وأشتات، لَيْلٌ دَاجٍ، وَنَهَارٌ سَاجٍ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، وَأَرْضٌ ذَاتُ فَجَاجٍ، وبحار ذات أمواج، ومهاد موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم تمور، وبحار لا تغور، وَنُجُومٌ تَرْهَرُ، وَبِحَارٌ تَزْخَرُ.. إِنَّ فِي السَّمَاءِ لَخَبْرًا، وَإِنَّ فِي الْأَرْضِ لَعِبْرًا، مَا بَالُ النَّاسِ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ؟!، أَرْضُوا فَأَقَامُوا، أَمْ تُرْكُوا فَنَامُوا؟، تَبًّا لِأَرْبَابِ الْغَفْلَةِ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ وَالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ. يا معشر إياد.. يا مَعْشَرَ إِيَادِ: أَيُّنَ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ؟، وَأَيُّنَ الْفِرَاعِئَةِ الشَّدَادِ؟، أَلَمْ يَكُونُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ مَالًا وَأَطْوَلَ آجَالًا؟، طَحَّهْمُ الدَّهْرُ بِكُلِّكَلِهِ، وَمَزَقَّهْمُ بِتَطَاوُلِهِ.. يقسم (قس) بالله قَسَمًا لا إثم فيه إن لله

ديناً هو أرضى لكم وأفضل من دينكم الذى أنتم عليه، إنكم لتأتون
من الأمر منكراً¹

2 الأمثال

للعرب في جاهليتهم أقوال كثيرة ذهبت أمثالاً. فمنها ما كان شعراً، ومنها ما كان نثرًا، وقد جمع الميداني طائفة كبيرة منها في كتابه الموسوم: «بمجمع الأمثال»، ولهذه الأقوال فائدة لا تنكر؛ لصدورها عن مختلف طبقات الشعب، فيمكننا أن نعرف فيها شيئاً كثيراً من أخلاق العرب وأحوالهم، وهي في جملها القصيرة تمثل بلاغة الجاهلي وإيجازه، ومقدار ما وصل إليه من قوة التعبير، ولكن الأمثال الجاهلية مخلوطة بالأمثال

1 معاني الألفاظ: عُوا: افهموا واحفظوا، مادتها (وعى- يعي) - فأت: مرّ وانتهى ومضى - أت: قادم. مَعَشَرَ: أهل، جماعة ج مَعَاشِر - إِيَاد: قبيلة قس- الشِدَاد: الأقوياء م الشديد - أجالاً: أعماراً م أجل - طَحَنَهُم: أهلكهم وأماتهم وقضى عليهم - الدهرُ: الزمان الممتد ج دُهور، أدهر- بِكَلْكَلِهِ: بصدده ج كلال - ومزَقِيم: فرَّقهم × جَمَعَهُم - بتطاؤله: بطوله وامتداده. دَاج: مظلم × منير، مضيء - نَهَارٌ ج أَنهْر، نُهْر - سَاج: يذهب ويحيى، شامل - ذَاتُ: صاحبة ج ذوات - أُنْبُرَاج: أقسام للسماء - تَزَهْر: تتألأ × تظلم- تَزَحْر: تمتلئ × تخلو- لَعَبْرَا: مواعظ م عِبْرَة، أما ال " عِبْرَة " بفتح العين فهي الدمعة - بَالٌ: حال وأمر- أَرْضُوا: أقنعوا وارتضوا × رفضوا - بِالْمُقَام: بالإقامة .

الإسلامية، فلا يتسنى التمييز بينهما إلا إذا كان في المثل ما يدل على جاهلية صاحبه، وهالك شيئاً منها:

إِنَّ الْهَزِيلَ إِذَا شَبِعَ مَاتَ¹. أَوَّلُ الشَّجَرَةِ النَّوَاةُ². أُمُّ الْجَبَانِ لَا تَفْرَحُ وَلَا تَحْزَنُ³. أَتَى عَلَيْهِمْ دُوٌّ أَتَى⁴. إِنْ أَخَاكَ مَنْ أَسَاكَ⁵. إِنْ كُنْتَ كَذُوبًا فَكُنْ ذُكُورًا⁶. بَكُلِّ وَاِدِّ أَثْرُ مِنْ ثَعْلَبَةٍ⁷. بَرَقَ لَوْ كَانَ لَهُ مَطَرٌ⁸. الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ⁹.

3 المنافرة:

المحاكمة في الحسب والنسب والمفاخرة فیهما، وكانوا يتنافرون إلى الناس في ذلك؛ ليقضوا لأحد المتنافرين على الآخر، وفي المنافرة يقوم

- 1 يُضْرَبُ لِمَنْ اسْتَغْنَى فَتَجِبِرَ.
- 2 يضرب للأمر الصغير يتولد منه الكبير.
- 3 لأنه لا يأتي بخير ولا شر أينما توجه لجبنه.
- 4 هذا من كلام طيئ وذو عندهم بمعنى الذي، أي أتى عليهم الذي أتى على الخلق من حوادث الدهر.
- 5 أساك: جعلك أسوة لنفسه، يُضْرَبُ فِي الْحَثِّ عَلَى مِرَاعَاةِ الْإِخْوَانِ.
- 6 يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يَكْذِبُ ثُمَّ يَنْسِي فَيُحَدِّثُ بِخِلَافِ ذَلِكَ
- 7 قاله ثعلبي رأى من قومه ما يسوؤه فانتقل عنهم فرأى منهم أيضًا مثل ذلك.
- 8 يُضْرَبُ لِمَنْ لَهُ حَسَنٌ مَنَظَرٌ وَلَا مَعْنَى وَرَاءَهُ.
- 9 أي قلبه ولسانه.

الشاعر أو الخطيب من كل فريق فيبين مفاخر قومه ومعائب منافريهم. فمن فخر الآخر نفروه على خصمه.

4 سجع الكهان

والكهّان عند العرب طائفة ذات قداسة دينية، وسلطان كبير لدى القبائل، شأنهم شأن الحكام في المنافرات. وكانوا يزعمون الاطلاع على الغيب، وكان الناس يتوافدون على هؤلاء الكهّان من مختلف الجهات فيحكّمونهم في منازعاتهم، ويستشيرونهم في أمورهم الخاصة وما يزمعونه من أعمال، أو ما يرونه في منامهم من أحلام. وكانوا يستخدمون في أحكامهم وأقوالهم ضرباً من النثر المسجوع عرفوا به.

ويلاحظ في نصوص الكهان أنها تحمل طابع التكلف الشديد في سجعها ولهذا لا يطمأن إليها كلها، فربما شاب بعضها الوضع والنحل، وربما كان بعضها محفوظاً صحيحاً، لقصره وإيجازه.

5 الحكم والأمثال

الحكم والأمثال جمل قصيرة بليغة، خالية من الحشو، أوحى بها تجارب الحكماء والمعمرين في الحياة والعلاقات بين الناس، وهي ثمار ناضجة من ثمرات الاختبار الطويل، والرأي المحكم. وقد اشتهر عند العرب في العصر الجاهلي طائفة من أولئك الحكماء، مثل: لقمان عاد وهو غير لقمان الحكيم، المذكور في القرآن الكريم، وأكثم بن صيفي، وعامر بن الظرب، وأكثم بن عامر، وهرم بن قطبة، ولبيد بن ربيعة.

وبعض هؤلاء يُعدون في الخطباء، وحكام المنافرات أيضاً. ولا يكاد يوجد في العصر الجاهلي سيد، أو شريف، أو خطيب مشهور إلا أضيفت إليه جملة من الحكم والأمثال.

والفرق بين الحكمة والمثل، أن الحكمة قول موجز جميل، يتضمن حكماً صحيحاً مسلماً به. لأنه نابع من الواقع ومعاناة التجارب في الحياة، مثل: «آخر الدواء الكي، وأول الشجرة النواة، وإنك لا تجني من الشوك العنب، وإن العوان لا تعلم الخمرة...».

وأما المثل فهو - في أصله - قول يقترن بقصة أدت إليه، ويدري به اللسان أول مرة، ثم يدخل في نطاق الأمثال حين يستشهد به في مقامات مماثلة، وفي حالات مشابهة للحالة الأولى التي ورد ذلك القول فيها. ولذلك تحكى الأمثال بألفاظها الأصلية، بلا تغيير ولا تصرف، مهما كان وضع المخاطب أو نسق الكلام. وأكثر تلك الحكم والأمثال لا يعرف أصحابها أو قائلوها، وقد سيقت بأسلوب سهل، لا أثر للصنعة الإنشائية فيه، وبعضها بل أكثرها، يعد من الإنشاء الرفيع، والسبك الجيد. وكثير منها أشطار موزونة، ربما كانت مقتطعة من أبيات كاملة، مثل: «رضيت من الغنيمة بالإياب» وهو عجز بيت لامرئ القيس، و«خلا لك الجو فبيضي واصفري» وهو أيضاً عجز بيت لطرفة. و«اللبس لكل حالة لبوسها» وهو رجز قديم، لا تعرف تتمته ولا صاحبه.

ولا تخلو صياغة بعض الحكم والأمثال أحياناً، من خروج على النظام اللغوي. كقولهم: «مكره أخاك، لا بطل» و«أعط القوس بارمها» و«أجناؤها أبنائها» والقياس: «جناتها بناتها» لأن «فاعلاً» لا يجمع على «أفعال». وهذه الحكم أو الأمثال هي - على كل حال - صورة لحياة العرب في الجاهلية، ولأساليبهم ولهجاتهم، وجانب من نثرهم، فيها البساطة والسهولة التي لا تخلو أحياناً من السجع والاحتفال بتوازن الكلمات وجمال الصنعة والتصوير.

6 الوصايا

يمكن إلحاق الوصايا بالحكم والأمثال لتضمنها كثيراً من تلك الأقوال الموجزة النابعة من التجربة، حتى لكان الوصايا أحياناً قائمة على جملة من الحكم والأقوال المأثورة.

وتروى هذه الوصايا عادة على ألسنة طوائف من الحكماء والمعمرين، الذين عرفوا بكثرة تجاربهم وخبرتهم في الحياة، وما وصل إلينا من تلك الوصايا بعضه موجه إلى الأبناء والبنات، وبعضه الآخر موجه إلى أفراد من القبيلة. أما من حيث الموضوع والمضمون؛ فيمكن تقسيم الوصايا إلى نوعين:

وصايا اجتماعية: كالوصايا المتعلقة بالزواج، والمال، والصدقة، والعناية بالخيول وإكرامها، ومكارم الأخلاق كتهذيب اللسان، وتربية

النفس، والحث على الصدق، والبذل والجود... ومن شواهدا وصية
ذي الإصبع العدواني - لما احتضر - لابنه أسيد.

وصايا سياسية: تكون بين الراعي والرعية، والدعوة إلى الحرب،
والدعوة إلى السلم والتحذير من التنازع.

7 القصص

ومن فنون النثر الجاهلي القصص وما يتصل منها بسبب، كالأسمار،
والحكايات، والأساطير، التي تتناثر في كتب الأدب والتاريخ والأمثال،
والتفسير، وكتب الشواهد النحوية والبلاغية، ومؤلفات الشراح مما
يؤلف ذخيرة قصصية غزيرة، تمثل في مضمونها جوانب من المجتمع
العربي في العصر الجاهلي، أو ما هو قريب منه، إذا صحت نسبتها إلى
ذلك العصر.

8 الرسائل

وآخر أنماط النثر الجاهلي وفنونه الرسائل، التي تعد أقل فنون النثر
شيوعاً، ولكنها أكثرها حاجة إلى التدوين لاستخدام الجاهليين إياها في
الأمر التجاري والسياسية والقبلية، وفي السفارة بينهم وبين الأكاسرة
وملوك المناذرة والغساسنة. ومما يثبت ذلك أن لقيط بن يعمر الإيادي.
مثلاً، كان يحسن الفارسية، وكان من مقدمي ترجمة كسرى سابور،

وكذلك كان عدي بن زيد العبادي وإخوته من كتاب الأكاسة
والمترجمين عندهم.

وما وصل إلينا من نصوص الرسائل الجاهلية قليل جداً، منها ما هو ذو
طابع سياسي كرسالة النعمان بن المنذر إلى كسرى، حين جهز إليه
وفداً ضم وجوه العرب من قبائل مختلفة، ليتكلم كل منهم أمام كسرى
بما يحضره عن مآثر العرب ومفاخرهم إذا صح هذا الخبر.

اشهر الخطباء في العصر الجاهلي

قس بن ساعدة الأيادي

اسمه الكامل قس بن ساعدة بن حدافة بن زهير بن اياد بن نزار
الايادي، وهو من اياد وهي قبيلة عدنانية ، هو أسقف نجران وخطيب
العرب وحكيمها وقاضئها، كان يؤمن بالله ويدعو إليه بالحكمة
والموعظة الحسنة. كان يوافي سوق عكاظ ويخطب في الملأ ترغيباً لهم
عن الوثنية، وتخويفاً من غضب الله ونقمته، وقد مال عن الدنيا
وزخرفتها وعاش على الكفاف. يقال إنه أول من خطب على شرف،
واتكأ على سيف، واستعمل كلمة أما بعد، وكتب فلان بن فلان، لقد
سمعه النبي (ص) في عكاظ وأثنى عليه. قال النبي صلى الله عليه وسلم
" رحم الله قسا أني لأرجو يوم القيامة أن يبعث أمة واحدة" (انه كان
على دين أبي اسماعيل بن ابراهيم عليهما من الله السلام)

قال الجاحظ عنه " ولقد وضع الشعر من قدرة النابغة ولئن كان في الدهر الأول ما زاده ذلك الارتفاع " وكان يفد على قيصر من حين إلى حين فيكرمه. توفي نحو سنة 600 بعد أن عمر طويلا.

ومن حكمه " من غيرك شيئا ففيه مثله ومن ظلمك وجد من يظلمه " وإذا نهيت عن الشيء فأبدأ بنفسك وهذه الخطبة قالها «قس ساعدة» في سوق عكاظ قبل ظهور الإسلام، ومما قاله فيها:

"أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا وَعُوا، مَنْ عَاشَ مَاتَ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ.. مطر ونبات وأرزاق وأقوات وآباء وأمهات وأحياء وأموات جمع وأشتات، لَيْلٌ دَاجٌ، وَمَهَارٌ سَاجٌ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أُبْرَاجٍ، وَأَرْضٌ ذَاتُ فِجَاجٍ،

الأكثم بن صيفي التميمي

هو اكثم بن الاسد العمري التميمي ، يكنى بأبي حفادة، هو خطيب العرب وحكيم العرب وشاعر وفارس من قبيلة بني تميم- من بني اسد وهو اول من استعمل المثل في الخطبة، و لقب بحكيم العرب، عندما بعث النبي كان اكثم في ذلك الوقت شيخا كبيرا ، فخرج قاصدا مكة اثناء الطريق توفي وفي ذلك الموضوع انزل اية من القرآن "ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا" قال له كسرى : لو لم يلد العرب غيرك لكفى هو زعيم الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كسرى وقد عاش طويلا وتوفي في السنة الثالثة بعد ظهور الاسلام وعمره 190 سنة، هو أول من تكلم أمام كسرى ملك الفرس فقال " إن

أفضل الاشياء اعاليها وأفضل الملوك اعمها نفعاً وخير الازمنة اخصبها،
وأفضل الخطباء أصدقها ، الصدقة منجاة والكذب مهواة ومن حكمه:
"الحق ابلج والباطل لجلج" إذا بالغت في النصيحة فإذهب التحمة"
"حب المديح رأس الضياع" الدال على الخير كفاعله" المزاح يورث
الطغائن "تباعدوا في الدار وتقاربوا في المودة، القرابة تحتاج إلى مودة
والمودة لا تحتاج إلى قرابة" اياك والتبذير فإن التبذير مفتاح البؤس "

عمرو بن معديكرب الزبيدي 547-642

عمرو بن معديكرب بن عبد الله بن عمرو بن عصم بن عمرو الزبيدي
قحطاني، فارس اليمن، بطل القادسية، كان له سيف اسمه
الصمصامة، وخطيب العرب مطبوع عاش في الجاهلية وأسلم هو
وقومه حينما لقي النبي صلى الله عليه وسلم لدى منصرفه من تبوك
ثم ارتد بعد وفاة الرسول ثم عاد من جديد إلى الاسلام وجاهد في سبيل
الله حق جهاده. وأبلى في حرب القادسية بلاء عظيمًا، وتوفي في أواخر
خلافة عمر بن الخطاب، يعد في الطبقة الثانية من الشعراء وفي
الطبقة الأولى من الخطباء. فيه قسوة الجاهلية، يكنى بأبي ثور. واخبار
شجاعته كثيرة. له شعر جيد، توفي على مقربة من الري. وقيل قتل
عطشًا يوم القادسية، واشتهر بالشجاعة حتى هابته ابطال العرب،
وضرب به المثل في الشجاعة وفي ذلك يقول ابو تمام

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس

ومن خطبته التي قالها أمام كسرى وهي على في العقد الفريد: انما المرء بأصغريه، قلبه ولسانه، فبلاغ المنطق السداد، وملاك النجعة الارتياذ، وعفو الري خير من استكراه الفكرة، وتوفيق الخبرة خير من اعتساق الحيرة.

يعد عمرو من الشعراء المخضرمين ويأتي شعره في الطبقة الثانية من الجودة ويغلب عليه وصف الوقائع والتحدث عن نفسه بالشجاعة.

عمرو بن كلثوم التغلبي

هو عمر بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن نزار بن معد بن عدنان التغلبي، ويلقب بأبا الأسود أو أبا عمير، كنيته أبو الأسود وهو أحد شعراء الجاهلية المشهورين وهو ايضا خطيب جاهي ، كان نصرانيا وقيل وثنيا وقد ولد في شمال الجزيرة العربية في عام 450م وتوفي في عام 600م عن عمر يناهز مئة وخمسين عاماً، وصار سيد قومه من خمسة عشر من عمره واشتهر بأنه شاعر القصيدة الواحدة، وكان أكثر الناس عزّة بنفسه، ولملّعة عمرو بن كلثوم أهمية تاريخية لأنّها تدلّ على حال العرب قديماً من ناحية الدين والعادات والأعراف الإجتماعية وغيرها من الأمور وقيل: كان يشتهر باستخدام الضمير "نحن" في شعره اثناء حديثه عن نفسه، فتكات الجاهلية ثلاث، فتكة

البراض بعروة وفتكة الحارث بن ظلام بخالد بن جعفر وفتكة عمرو بن
كلثوم بعمر بن هند

Module II: Arabic Literature in Islamic Period

الأدب العربي في العصر الإسلامي

- Impact of Islam and Qur'an on poetry, Approach of Islam to poetry, Mukhdaram poets , PiousCaliphs and poetry.
- Development of Prose Literature in Islamic Period, Qur'an – Its revelation and compilation, I'jaz al-Qur'an, Tafsir literature, Hadith Literature – collection and compilation of hadith – Sihah Sita.

عصر صدر الإسلام

هو الفترة الزمنية من بعثة النبي محمد ﷺ سنة 611 م إلى مقتل آخر الخلفاء الراشدين على بن أبي طالب سنة 40 هجريا.

جاء الإسلام فلم يهدم الأدب القديم بل أراد إصلاحه وإخضاعه للحياة الناهضة الجديدة، واستخدامه للأغراض الإنسانية النبيلة كما يظهر من دراسة نصوص هذا العهد بوجه عام، وجعل ما يتجاوز هذه الحدود محظورا مرفوضا، وما ينحصر فيها ويخدمها جائزا مقبولا.

الشعري في صدر الإسلام

وقد وقع الخلاف بين النقاد والأدباء حول طبيعة الشعر في صدر الإسلام، وقد انقسموا إلى رأيين، فأما أصحاب الرأي الأول يرى بأنّ الشعر ضعف وتراجع، ومنهم "ابن سلام" صاحب كتاب "طبقات فحول الشعراء" الذي ذكر فيه: "بأنّ العرب بُهروا بالقرآن الكريم، وبإعجازه اللغويّ البيانيّ، كما أنّهم انشغلوا بالجهاد والغزو مع الرسول ﷺ ممّا قلل اهتمامهم بالشعر وصرّفهم عنه.

أما أصحاب الرأي الثاني فيروا بأنّ الشعر في صدر الإسلام تطوّر وازدهر، ومن أصحاب هذا الرأي "شوقي ضيف" وقد برهن على ما ذهب إليه بازدياد عدد الشعراء، وإضافة موضوعات جديدة إلى الشعر، وقدم عدداً من النماذج، وردت في كتب الأدب ليؤكد رأيه هذا.

أثر الإسلام والقرآن في الشعر العربي

وفي عصر الإسلام تأثر الشعراء بالقرآن الكريم وانشغلوا في حفظه الذي زادهم فصاحة وبلاغة، وهذا جعل الشعر يزدهر تحت الحكم الإسلامي، فلم يكن تأثيره دينياً فقط بل شمل جميع مناحي الحياة.

ومن أبرز آثار الإسلام والقرآن على الشعر والشعراء أنه بدأ الشعراء يدعون في شعرهم ما تعلموه من الإسلام وبدء يظهر أنماط جديدة من الشعر كشعر الجهاد، والفتوح الإسلامية، والشعر الديني وأصبح شعرهم يتصل بالقيم والمثل الإسلامية. حافظ الشعراء على أغراض الشعر التقليدية التي استخدموها قبل الإسلام، على سبيل المثال المديح فظهر ما يسمى بالمديح النبوي، وهو مدح الرسول الكريم، ومن رواه حسّان بن ثابت الأنصاري،

استخدم الشعر لوصف المعارك والفتوحات الإسلامية التي خاضها المسلمون، وتصوير بطولات الصحابة الفردية والجماعية ووصف شجاعتهم وثباتهم الشديد وتصوير هول المعارك،

استخدم الفخر الذي كان منتشر في شعر الجاهلية استمرّ بأنواعه المختلفة فاستخدموه لتصوير الشجاعة، والكرم، والعفة، وأيضاً للافتخار في الجهاد، والإيمان، والتقوى، والخوف من النار،

إنّ الإسلام أوجد مواضيع جديدة ليكتب فيها الشعراء، وأظهر شعراء جُدد مُلمّين بالدين الإسلامي الجديد وعقيدته، فقد قام الإسلام بخلق مواضيع جديدة قام الشعراء بالإبداع في توظيفها،

موقف الإسلام من الشعر والشعراء

إنّ الأدب في المنظور الإسلامي هو أدب العقيدة الإسلامية التي تحثُّ الفرد والمجتمع على اتباع الحق، وقول الحق، والشهادة بالحق في كل شيء، والشعر نوع من الكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح، فلا يمدح لذاته ولا يذم لذاته، ولكن النظر إلى مضمون الشعر قال ابن قدامة - رحمه الله- في المغني: "وليس في إباحة الشعر خلاف، وقد قاله الصحابة والعلماء، والحاجة تدعو إليه لمعرفة اللغة العربية والاستشهاد به في التفسير، وتعرف معاني كلام تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، ويستدل به أيضاً على النسب والتاريخ وأيام العرب". وقد أنشد كثير من الصحابة الشعر بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأحاديثهم في الصحيحين وغيرهما وهي كثيرة، بل أمر النبي ﷺ حساناً وغيره بإنشاد الشعر.

وما ورد من ذم الشعراء في القرآن أو ذم الشعر في السنة، فإنما يذم من أسرف وكذب، فالغالب أن الشعراء يقولون الكذب، فيقذفون المحصنات، ويهجون الأبرياء، فوقع الذم على الأغلب، واستثنى منهم

من لا يفعل ذلك، كما قال سبحانه: (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿١٠٠﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمِيمُونَ ﴿١٠١﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿١٠٢﴾ إِلَّا
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا
ظَلَمُوا) (الشعراء:224-227) وما ورد في السنة من ذم حفظ الشعر
فالمقصود به الإكثار من ذلك حتى يشغله عن القرآن والسنة والتفقه
في الدين، أو ما كان فيه تشبيب بالنساء ونحوه.

فالشعر يختلف بحسب مقاصده ومراد صاحبه: فإن أراد الحق والخير
ومقتضى شعره يدل على ذلك؛ فلا بأس في ذلك، ومن الدعوة إلى
الخير، والدعوة إلى الحق، وإن كان شعره يدعو إلى الباطل والفساد؛
صار مذمومًا يجب منعه منه.

الشعراء المخضرمون.

المخضرمون: جمع مخضرم¹. الشاعر المخضرم هو الشاعر الذي عاش
في عصري الجاهلية والإسلام، ويعدّ عصر المخضرمين من العصور

1 المصطلح والمفهوم: من المعان اللغوية للخضرمة: القطع، ومنه قولهم: (ناقة
مخضرمة): قطع طرف أذنها، والخضرمة قطع إحدى الأذنين، وهي سمة
الجاهلية، وكان أهل الجاهلية يخضرمون نعمهم، فلما جاء الإسلام أمرهم النبي
p أن يخضرموا من غير الموضع الذي يخضرم منه أهل الجاهلية. وأصل

المهمّة؛ حيث شكّل صراعاً بين القيم والمبادئ التي قامت عليها الجاهليّة، وبين القيم والمبادئ الإنسانيّة التي جاء بها الإسلام، وجدّيّ بالذکر أنّ الشعر كان واحداً من الآثار التي تشكّلت بوجود هذا العصر؛ فغالباً ما يكون الشعر استجابة لرغبة الإنسان في التعبير عن ما يجول في نفسه وخاطره.

أشهر الشعراء المخضرمين:

1. حسّان بن ثابت: (شاعر الرسول ρ) توفّي سنة 50هـ.
2. كعب بن زهير: بن أبي سلمى، توفّي سنة 26هـ.

الخضرمّة أن يجعل الشيء بين بين، وكانت خضرمّة أهل الإسلام بائنة من خضرمّة أهل الجاهلية. ورجل مخضرم: بفتح الراء، إذا كان نصف عمره في الجاهلية ونصف في الإسلام. وقيل مخضرم: بكسر الراء، لأن الجاهلية، لما دخلوا في الإسلام، خضرموا إبلهم، فهو اسم فاعل، ليكون علامة لإسلامهم إن أُغبر عليها أو حوربوا. ويقال لمن أدرك الجاهلية والإسلام مخضرم: بكسر الراء، لأنه أدرك الخضرمتين، أي النوعين من قطع آذان الأنعام. أما من قال مخضرم: بفتح الراء، فإنه يعني أنه قطع عن الكفر إلى الإسلام، لذا قالوا شاعر مخضرم، وقصدوا به من أدرك الجاهلية والإسلام. يقول السيوطي (ت 911 هـ): المخضرمون من الشعراء: من قال الشعر في الجاهلية، ثم أدرك الإسلام، فمنهم: حسان بن ثابت، ولبيد بن ربيعة، ونابغة بني جعدة، والزبرقان بن بدر، وعمرو ابن معدي كرب.

3. الخنساء: تماضر بنت عمرو، توفيت سنة 24هـ.
 4. لبيد بن ربيعة: بن مالك العامري، المتوفى سنة 41هـ.
 5. الحُطَيْئَة: (جرول بن أوس بن مالك العبسي)، المتوفى نحو 45هـ، والذي لم يتأثر بالإسلام كثيراً.
 6. النابغة الجعدي: (قيس بن عبدالله العامري)، توفي سنة 50 هـ.
- نبتة عن حياة بعض شعراء المخضرمين ونماذج من شعرهم.

حسان بن ثابت الأنصاري (65 ق هـ - 50 هـ)

هو حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري الخزرجي، ولد في المدينة في سنة 65 قبل الهجرة، يقال أنه عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الإسلام ستين أخرى؛ وكان لسان قومه في الحروب التي نشبت بينهم وبين الأوس في الجاهلية، وكان منصرفاً إلى اللهو، فوصف مجالس اللهو والخمر والغزل، وقد دافع عن قومه وافتخر بأمجادهم.

وكان يُكنى أبا الوليد، وأبا عبد الرحمن، وأبا الحُسام، وقد لقي حظوة في الجاهلية عند ملوك غسان فمدحهم واسترفدهم، فأفاضوا عليه النعم، فحفظ لهم الجميل، وبقي يذكرهم بالخير إلى آخر عمره.

اتفق الرواة والنقاد على أنه أشعر أهل المدر في عصره وأنه أشعر اليمن قاطبة، وقد خُلف ديواناً ضخماً رواه ابن حبيب، ولحسان شعر

جميل في الجاهلية لا يُبَخَسُ حقه، وقد يكون أجود من شعره في الإسلام كما يزعم الأصمعي، ولكن شهرة حسان قامت على أنه شاعر الرسول ρ.

حسان في الإسلام

لما ظهر الإسلام، وهاجر النبي إلى يثرب، أسلمت الأوس والخزرج وأسلم حسان معهم فكان في جملة الأنصار. فمدح الإسلام والنبي ρ، وقد دافع عن الدين الجديد ونظم قصيدة بمناسبة الغدير.

عندما يدخل حسان الإسلام بعد هجرة الرسول ρ حتى إذا أخذ شعراء قريش في هجاء الرسول ρ وصحبه من المسلمين أنبرى لهم بلاذع هجائه، وكان رسول الله ρ يحثه على ذلك ويدعو له بمثل "اللهم أيده بروح القدس"، واستمع إلى بعض هجائه لهم فقال: "لهذا أشد عليهم من وقع النبل"، وكان أيضا لم يكن يهجوهم بالكفر إنما كان يهجوهم بالإيما التي هُزِمُوا فيها ويعيّرهم بالمثالب والأنساب.

سبي حسان شاعر الإسلام ورسوله الكريم، فقد عاش يدافع عن ρ والمسلمين، فهو حين يرد على شاعر وفد بني تميم الزبرقان بن بدر يقول:

إِنَّ الذَوَائِبَ مَنْ فِهِرٍ وَإِخْوَتَهُمْ قَدْ بَيْنُوا سَنَةَ لِلنَّاسِ تَتَبِعُ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ تَقْوَى الْإِلَهِ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَبُوا عَدُوهُمْ، أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةً تَلِكُ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ، إِنَّ الْخَلَائِقَ، فَاعْلَمْ، شَرُّهَا الْبِدْعُ

وقد أجاد في وصف النبي والرسالة الجديدة حيث يقول:

وأحسن منك لم تَرَ قطُّ عيني وأحسن منك لم تلد النساءُ
خُلِقَتْ مبرءً من كلِّ عيبٍ كأنَّكَ قد خُلِقْتَ كما تشاءُ

نبي أتانا بعد ياس وفترة من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا يلوح كما لاح الصقيل المهند
وانذرنا نارا وبشر جنة وعلمنا الإسلام فالله نحمد
مع المصطفى ارجوا بذلك جواره وفي نيل ذلك اليوم أسعى واجهد

كعب بن زهير: (؟؟؟ - 26 هـ)

كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني أبو المضرب. كان ممن اشتهر في
الجاهلية ولما ظهر الإسلام هجا النبي صلى الله عليه وسلم وأقام يشبب
بنساء المسلمين فهدر النبي دمه فجاءه (كعب) مستأمناً وقد أسلم
وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها: "بانت سعاد فقلبي اليوم متبول"
فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم وخلع عليه بردته وهو من أعرق

الناس في الشعر: أبوه زهير ابن أبي سلمى وأخوه بجير وابنه عقبة وحفيده العوّام كلهم شعراء.

وهو شاعر مخضرم، ومن أشهر قصائده اللامية (البردة) التي مطلعها بانث سعاد. أبوه زهير بن أبي سلمى من فحول الشعراء في الجاهلية، وهما من قبيلة مزينة. وقد تلقن الشعر عن أبيه، يعتبر كعب بن زهير بن أبي سلمى أحد فحول المخضرمين، وكانت له المكانة العالية والحظّ المرموق في الشعر.

عندما جاء الإسلام بعد سنوات من ظلمة الجاهلية أسلم بجير أخو كعب، وبقي كعب علي دينه الأصلي لذا غضب كعب على أخيه لخروجه عن دين آباءه، فقام بهجاء أخيه وهجاء الإسلام والرسول ﷺ، فأهدر النبي ﷺ دمه، فطالبه أخوه بدخول الإسلام لينجو بنفسه من النار وأرسل إليه بعد فتح مكة خطابا يقول فيه أن النبي قتل كل من آذاه من المشركين، فراح يستجير بالقبائل، وما من مجير، ولما ضاقت عليه الأرض في وجهه وبعد أن استيأس من المجير والنصير ذهب إلى الرسول ﷺ يطلب منه الأمان واضعا يده في يد رسول الله ﷺ قائلا قصيدته الشهيرة البردة، والتي مطلعها (بانث سعاد)، وفيها هجا الأنصار بسبب قسوتهم عليه وامتدح المهاجرين، وقد أعجب رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم ببعض معاني القصيدة، ولما بلغ قوله: "إنّ الرسولَ لَنورٌ يستضاء به مهنّدٌ من سيوف الله مسلولٌ" قام عليه

الصلاة والسلام فألبسه بُردته إكراماً وتقديراً له، فلم يصدق كعب نفسه من شدة فرحه، فقد تغير حاله في لحظة وصار من المقربين إلى رسول الله ﷺ، ومن هنا سُميت قصيدته بالبردة، وكان كعب معتزلاً بتلك البردة طيلة حياته، ويقال إنّ معاوية بن سفيان اشتراها من ورثة كعب بعشرين ألف درهم وتوارثها الخلفاء من بعده وكانوا يلبسونها في الأعياد، وبذلك يكون كعب بن زهير قد أعلن توبته ودخل في الإسلام في أواخر السنة السابعة للهجرة، وصار شاعراً من أشهر شعراء الدعوة الإسلامية الذين دافعوا عن الإسلام. توفي كعب بن زهير سنة 26هـ.

يقول في قصيدته:

بَانَتْ سَعَادٌ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولٌ مُتَيِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُجَزَّ مَكْبُولٌ
وَمَا سَعَادَ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ عَرَضَتْ إِلَّا أَغَنَّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولٌ
وَمَا تَدْوُمٌ عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي زَعَمَتْ إِلَّا كَمَا تُمْسِكُ الْمَاءَ الْغَرَابِيلُ
كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيدُهُ إِلَّا الْأَبَاطِيلُ
نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَبْدُولُ
مَهْلًا هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الـ قُرْآنٍ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ، وَلَمْ أَذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ
إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَيَّئٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ

فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَاتِلُهُمْ بِيَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا: زُؤُلُوا

الخنساء

الخنساء واسمها تماضر بنت عمرو السلمية (575م - 24 هـ / 645م)، صحابية وشاعرة مخضرمة من أهل نجد أدركت الجاهلية والإسلام وأسلمت، واشتهرت برثائها لأخويها صخر ومعاوية اللذين قتلوا في الجاهلية. وقد خصت أخاها صخرًا بدموعها السخية لما تحلى به من الشجاعة والكرم والوفاء وبذل المال. لقبت بالخنساء بسبب ارتفاع أرنبتي أنفها.

ويُذكر أنّها نشأت في بيت عزّ مع أبيها وأخويها صخر ومعاوية، وعاشت الخنساء ولها من العمر 89 سنة، وأسلمت الخنساء مع قبيلتها، وذهبت معهم إلى المدينة المنورة؛ لملاقاة الرسول محمد ﷺ، وقد كان رسول الله يستنشدُها ويُعجب كثيراً بأشعارها؛ إذ كانت تُنشد الأشعار، وهو يقول لها: (هيه يا خنساء). وقدمت أولادها الأربعة في سبيل الإسلام، وحرّضتهم على الثبات في القتال حتّى قُتلوا. وعندما وصلها خبر مقتلهم هتفت: «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربّي أن يجمعني بهم في مستقرّ الرحمة». ويُذكر أنّها سُئلت عن عدم رثاء أولادها الأربعة ورثائها المستمرّ لإخوانها فقالت: أولادي أحسبهم عند الله، أما إخوتي فسيذهبون إلى النار. ويُذكر أنّه قيل لجبير: من أشعر الناس؟ قال: أنا لولا الخنساء.

وكانت وفاتها في أوائل خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه عام 24هـ،
والذي يوافق بالميلادي 664م

ومما جاء في رثائها لصخر:

ألا ما بعينيك أم مالها لقد اخضلّ الدمع سربالها

سأحمل نفسي على خطّة فأما عليها وأما لها

فإن تصبر النفس تلقى السرور وإن تجزع النفس أشقى لها

شاعرية الخنساء

تُعدُّ الخنساء واحدةً من الشعراء المخضرمين، ومن أشهر شعراء
الرثاء؛ إذ غلب على شعرها البكاء، والتفجّع، والمدح، والتكرار، والنظم
على وتيرة من الحزن، والبكاء، وذرف الدموع، ولقد نبغت شاعريتها بعد
مقتل أخويها، حيث أثر مقتل شقيقها معاوية وصخر في شاعريتها،
وزاد في شهرتها الشعرية؛ وقد طال بها هذا الحزن إلى الدخول بحداد
طويل جداً، حيث استمرت في ارتداء ملابس الحداد كدليل على
إخلاصها لأخويها، وقالت في رثاء صخر:

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا وأذكرُهُ لكلِّ غروبِ شَمْسٍ

وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي على إخوانهم لقتلت نفسي

الخلفاء الراشدون والشعر العربي

وبعد ظهور الإسلام وانتشاره بدأ الشعراء من الصحابة رضي الله عنهم يستعينون بالشعر في تحفيز المسلمين وتقوية عزائمهم، واستمرّ الشعر في التطوّر حتى أصبح مرافقًا لجميع الأحداث التي تطرأ على الدولة الإسلاميّة،

بدأت حركة الشعر في عهد الخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم- بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى وراثته من قبل الشعراء، مثل: حسان بن ثابت -الملقّب بشاعر الرسول- وكعب بن زهير، ثم بعد تسلّم أبي بكر الصديق الخلافة، وظهور حروب الردّة كثرت الأشعار وتنوعت؛ فمنها ما كان تخويّفًا أو إنذارًا، أو حماسة للدين أو وعظًا، وبعد وفاة أبي بكر الصديق تهافت الشعراء على رثائه وذكر مناقبه وصفاته، وكان من أبرز من رثى أبا بكر حسان بن ثابت.

وفي عهد الصحابيّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الشعراء في مدحه وبثّ روح الحماس في المسلمين، ومن الجدير بالذكر أنّ الشاعر زهير بن أبي سلمى كان الشاعر المفضّل لعمر بن الخطاب ولقبه بشاعر الشعراء، كما وصف قصائده بالصدق والحكمة، وأمّا في عهد الخليفة عثمان بن عفان انتشرت الفتن والخلافات التي أدّت في النهاية إلى مقتله وقد كتب الكثير من الشعراء عنه حزنًا وحسرةً عليه، واستمرتّ الفتن حتى فترة حكم الخليفة علي بن أبي طالب، وجرى في

عده الكثير من الحروب والمعارك فكانت القصائد الشعريّة مليئة بالحماس والطاقة،

وقد قال الخلفاء الراشدون الشعر؛ فذكر أنّ أبا بكر الصديق نظم قصيدة حماسيّة، أما عمر بن الخطاب فقد نظم عدة أبيات في الحكمة، وكذلك عثمان بن عفّان، أما الخليفة علي بن أبي طالب فقد روى من شعره الكثير، وكان الخلفاء الراشدون يمنعون الشعراء من هجاء الإسلام والمسلمين خاصّة عمر الفاروق، وقد أخذ من الشاعر الحطيئة عهدًا ألا يهجو مسلمًا، وكان الخليفة عمر بن الخطاب أعلم الناس بالشعر؛ فكان لا يكاد يعرض له أمرًا إلا أنشد فيه بيتًا من الشعر.

النثر في العصر الإسلامي

حدثت للنثر في عصر صدر الإسلام نقلة نوعية عظيمة، وذلك بسبب إضافة مصدرين عظيمين للثقافة العربية، وهما: القرآن العظيم، والحديث النبوي الشريف. كما أن منظومة المفاهيم الجديدة التي جاء بها الإسلام غيرت تصورات العرب وكوّنت تصوّرات جديدة ظهرت في لغتهم وأدبهم. ويلاحظ أن النثر، المنطوق والمكتوب، تطور منذ مجيء الإسلام، كمًّا وكيفًا، بشكل كبير لا يمكن أن تخطئه العين.

أنواع النثر في عصر صدر الإسلام:

القرآن العظيم:

لقد تميز القرآن ببلاغة ألفاظه، ووضوح معانيه، وجاء بمواضيع لم تكن يتطرق إليها العرب في شعرهم أو نثرهم فارتقى بهم إلى مراقي العلاء. يعود للقرآن الكريم الفضل في توحيد لهجات اللغة العربية بوضع معيار لها حَفَظَهَا من الضياع بعد أن كانت لهجات مختلفة. كذلك كان القرآن السبب الأساس، وربما الوحيد في ظهور العديد من العلوم المختلفة مثل النحو والصرف والعروض والنقد والفقه والتفسير، وله الفضل في زيادة الثروة اللغوية من خلال استخدامه لألفاظ جديدة ومعانٍ محدثة.

الحديث النبوي

تميز الحديث بإيجاز لافت، مع قوة في التأثير، ومنطقية في الإقناع، وبُعدٍ عن التكلف والتصنع اللغوي. ويدرك كل دارس أن أحاديث الرسول قد أثّرت في الخطباء والكتّاب والشعراء منذ فجر الإسلام فاقتبسوها في أقوالهم وكتاباتهم ليُقوّوا بها حججهم ويثبتوا بها أحكامهم ويدلّلوا بها على ثقافتهم وتديّنهم وحسن سلوكهم.

الخطابة:

تطورت الخطابة في عصر صدر الإسلام تطورًا ملحوظًا، فقد تغيرت موضوعاتها؛ إذ تناولت الدعوة إلى الدين الجديد وتوطيد أركانه بعد أن كانت سابقًا في الدعوة إلى القبلية والعصبية، وتناولت أيضًا الدفاع عن الدين الجديد ودحض آراء المعادين والدعوة إلى التوحد والخطابة عند الاستحلاف والمبايعة. وقد تميزت الخطابة منذ مجيء الإسلام بأساليب جديدة منها: قوة العبارة، وتماسك الألفاظ، ونزعة التديّن، والاقتباس والتضمين من القرآن والحديث.

نزول القرآن الكريم وجمعه

نزل القرآن الكريم على مرحلتين؛ حيث نزل في المرحلة الأولى جملةً واحدةً، وكان ذلك ليلة القدر، ثمّ نزل مفرّقاً بواسطة جبريل عليه السلام على قلب محمّد -صلى الله عليه وسلّم- خلال ثلاثٍ وعشرين

سنة، وكان لا بدّ من جمع القرآن وحفظه مجموعاً بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم باتفاق الصحابة جميعاً بعد وفاة معظمهم حملة القرآن في صدور والخوف عليه من الضياع.

وقد وردت لفظة «الجمع» بمعنى: «الحفظ مع دقة الترتيب» عدّة مرّات في كتاب الله، وذلك من مثل قوله تعالى مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله صلى الله عليه وسلم: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ *} [القيامة: 16]. [19]. وهذا المعنى آتاه الله تعالى . لخاتم أنبيائه ورسله صلى الله عليه وسلم . ولعددٍ غير قليل من صحابته الكرام، ومن تبعهم من الصالحين إلى اليوم، وحتى يوم الدين، وهؤلاء تدارسوا القرآن الكريم، ولا يزالون يتدارسونه ويستظهِرونه، ليتمكنوا من القراءة به في الصلوات المكتوبة، وفي النوافل، وفي الاستشهاد. كما وردت لفظة «الجمع» بمعنى: «الكتابة والتدوين». وقد مرّ جمع القرآن وتدوينه بمراحل ثلاثة:

أولاً: جمع القرآن الكريم كتابة من فم الرسول ﷺ

ظلّ الصحابة يعكفون على حفظ القرآن غيباً، حتى ارتفعت نسبة الحفاظ منهم إلى عدد لا يحصى. وبلغوه إلى مَنْ بعدهم بطريقتين اثنتين:

أحدهما: الكتابة التي كانت تتم للقرآن بأمر الرسول ﷺ لأشخاص بأعيانهم وكلّ إليهم هذا الأمر، ولم ينتقل رسول الله ﷺ إلى جوار ربه إلا والقرآن مكتوب كله في بيته.

الثانية: حفظه في الصدور عن طريق التلقي الشفهي من كبار قرّاء الصحابة وحفاظهم؛ الذين تلقّوه بدورهم عن رسول الله ﷺ؛ الذي أقرّهم على كيفية النطق والأداء.

ثانياً: جمع القرآن الكريم في مصحف واحد في عهد أبي الصديق رضي الله عنه:

كان من ضمن شهداء المسلمين في حرب مسيلمة الكذاب في اليمامة كثيرٌ من حفظة القرآن، وقد نتجَ عن ذلك أن قام أبو بكر رضي الله عنه بمشورة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجمع القرآن، حيث جُمع من الرقاع والعظام والسَّعْف ومن صدور الرجال، وأسندَ أبو بكر الصديق رضي الله عنه هذا العمل العظيم، والمشروع الحضاريّ الضخم إلى الصحابي الجليل زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه. وكانت الصحف عند أبي بكر في حياته حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم. وكان من أوليات أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أنه أول من جمع القرآن الكريم، يقول صعصعة بن صوحان رحمه الله: أول من جمع القرآن بين اللوحين، وورث الكلاله. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

يرحم الله أبا بكر، هو أول من جمع القرآن بين اللوحين. وقد اختار أبو بكر رضي الله عنه زيد بن ثابت لهذه المهمة العظيمة كونه شاباً، حيث كان عمره واحداً وعشرين عاماً، فيكون أنشطاً لما يُطلب منه، كونه أكثر تأهيلاً، فيكون أوعى له، إذ مَنْ وهبه الله عقلاً راجحاً فقد يسّر له سُبُل الخير وكونه كاتباً للوحي، فهو بذلك ذو خبرةٍ سابقةٍ في هذا الأمر، وممارسةٍ عمليةٍ له فليس غريباً عن هذا العمل، ولا دخيلاً عليه.

ثالثاً: جمع القرآن الكريم في عدد من المصاحف في عهد عثمان ذي النورين رضي الله عنه:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنّ حذيفة بن اليمان قدّم على عثمان رضي الله عنه، وكان يُغازي أهل الشام في فتح أرمينية، وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة رضي الله عنه اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصُّحفِ ننسخها في المصاحف، ثم نردّها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرّهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيءٍ من القرآن؛ فاكتبوه بلسان قريش، فإنّما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصُّحف في المصاحف، ردّ عثمان رضي الله عنه الصُّحفَ إلى حفصة، فأرسل إلى كلٍّ أفقٍ بمصحفٍ ممّا

نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كلِّ صحيفةٍ، أو مصحفٍ أن يُحرقَ.

وجمع عثمان رضي الله عنه المهاجرين والأنصار، وشاورهم في الأمر، وفيهم أعيانُ الأمة، وأعلامُ الأئمة، وعلماءُ الصحابة، وفي طليعتهم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وعرض عثمان رضي الله عنه هذه المعضلة على صفوة الأمة وقادتها الهادين المهديين، ودارسهم أمرها، ودارسوه، وناقشهم فيها وناقشوه، حتى عرف رأيهم وعرفوا رأيه، فأجابوه إلى رأيه في صراحة لا تجعل للريب إلى قلوب المؤمنين سبيلاً، وظهر للناس في أرجاء الأرض من عقد عليه إجماعهم، فلم يعرف قط يومئذ لهم مخالف، ولا عرف عند أحد نكير، وليس شأن القرآن الذي يخفى على أحاد الأمة فضلاً عن علماءها وأئمتها البارزين.

إعجاز القرآن الكريم

جاء في قواميس اللغة في معنى العجز: أنه نقيض الحزم، تقول: عَجَزَ عن الأمر يَعِجِزُ، إذا قَصُرَ عنه ولم يدركه، والعجز الضعف، والإعجاز: القَوْتُ والسَّبْقُ. والمعجزة في الشرع تعني: الأمر الخارق للعادة، يُعْجِزُ البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله، يجعله الله على يد من يختاره لنبوته، دليلاً على صدقه وصحة رسالته.

وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال من أرسل إليهم، فلما كان السحر فاشياً في قوم موسى جاءهم بما يناسبهم وما هم عليه، ومثل ذلك يقال في عيسى عليه السلام، لما كان الطب سائداً في زمنه جاءهم بما يوافق أمرهم وحالهم.

ولما كانت العرب أرباب فصاحة وبلاغة وخطابة، جعل الله سبحانه معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم، تحدّى الله به كفار قريش وغيرهم أن يأتوا بسورةٍ واحدةٍ مثل سور القرآن وهذا من إعجاز القرآن الكريم.

أنواع الإعجاز في القرآن الكريم

نجد أنّ الإعجاز في القرآن عدّة أنواعٍ؛ فهناك: الإعجاز البلاغيّ، والعلميّ، والرّقعيّ، والتّشريعيّ، والإصلاحيّ.

الإعجاز البلاغيّ

كما يُعرف أيضاً بالإعجاز البيانيّ، وهذا النوع من أهمّ أنواع الإعجاز؛ فالعرب أهل البلاغة والفصاحة والأدب، فكانت لهم الأسواق للتّباري في الفصاحة والبيان والشّعر، ومع كلّ بلاغتهم عجزوا عن الإتيان بمثل سورةٍ من سور القرآن أو آيةٍ من آياته، كما أنّ التركيبات اللّغوية واللفظيّة في القرآن تختلف عمّا سواه، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: قال تعالى: "والذي يُميتني ثمّ يُحييني" لم يقل في الآية هو؛ لأنّ الكفار والمشركين موقنون بأنّ الله هو من بيده الموت والحياة، لكن

الآيات قبلها "هو يطعمني" و" هو يشفين"; لأنَّ بعض ضعاف النفوس قد يراودهم الشك بأنَّ الله هو الشافي والرازق؛ لذلك جاء بلفظ "هو" لتوكيد المعنى.

الإعجاز التصويري

كما يُعرف بالإعجاز التعبيري؛ فعند قراءة القرآن الكريم تتمثل أمام العينين وفي المخيلة مشاهد حيّة ومتحركة للأحداث التي تسردها الآيات من قصص الأنبياء، والصالحين، وهلاك الأمم الكافرة، والجنة والنار، وغيرها. كقوله تعالى: "يوم ترجف الأرض والجبال...."; فعند قراءة هذه الآية تتمثل أمام العين الأرض وهي ترجف والجبال وهي تهتز.

الإعجاز العلمي

تحدّث آيات القرآن الكريم عن الكثير من الآيات الكونيّة والاختراعات والاكتشافات التي أثبتتها العلم، فعلى سبيل المثال قوله تعالى: "فإذا انشقت السماء فكانت وردةً كالدهان"; فقد أثبت العلم الحديث في رصد الكواكب والأجرام السماويّة لحظة انفجار نجمٍ في السماء فكان يتحوّل إلى اللون الأحمر ثمّ يتشكل بشكل الوردية.

الإعجاز الرقمي

ورد الرّقم في القرآن للدلالة على العدد الفعليّ أو للدلالة العلميّة أو لإثبات الحقائق التي أكدها العلم الحديث؛ فقد وردت كلمة شهرٍ

ومشتقاتها 12 مرّة وهو عدد شهور السنّة، كما وردت كلمة يومٍ 365 مرّة وهي عدد أيام السنّة، وغيرها الكثير.

الإعجاز التّشريعيّ والإصلاحيّ

يعدّ هذا الإعجاز من أعظم أنواع الإعجاز التي لمسها العرب منذ بعثة النّبى صلى الله عليه وسلم؛ فبعد الإسلام وانتشاره في معظم الجزيرة العربيّة ثمّ العالم أجمع انتقل العرب بفضل تعاليم الإسلام وتشريعاته وتطبيقاته الإصلاحيّة للفرد والمجتمع من قبائل بدويّة متناحرة تشكو الفقر والجوع وضيق الحال إلى سادة الدّنيا وملوكها؛ ففتحوا بلاد الفرس ووصلوا إلى حدود بعيدة شرقًا وغربًا، ونشروا العدل والمساواة، وملؤوا الكون علمًا ونورًا.

التفسير وعلومه

علم التفسير هو توضيح الشيء وبيان معناه، وهو علم اهتم به المسلمون لفهم آيات القرآن.

للعلماء عدة أقوال في تعريف تفسير القرآن، ومنها ما أوردها الإمام السيوطي في (الإتقان في علوم القرآن): "هو علم نزول الآيات وشؤونها، وقصصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها،

ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعداها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها".

أقسام التفسير

أولاً: من حيث إمكان تحصيله

وهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى أربعة أقسام: (1) وجه تعرفه العرب من كلامها. (2) وتفسير لا يعذر أحد بجهالته. (3) وتفسير يعلمه العلماء. (4) وتفسير لا يعلمه إلا الله.

ثانياً: من جهة استمداده

وجهة استمداده تكون من الطريق المعتاد نقلاً كان من القرآن نفسه، أو من السنة، أو من كلام الصحابة، أو التابعين، أو كان رأياً واجتهاداً. أو من غير هذا الطريق بأن يكون بطريق الإلهام والفيض، فالتفسير ينقسم بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام:

- تفسير بالرواية، ويسمى التفسير بالمأثور.
- تفسير بالدراية، ويسمى التفسير بالرأي.
- تفسير بالدراية والرواية، ويسمى التفسير الأثري النظري.
- تفسير بالفيض والإشارة، ويسمى التفسير الإشاري.

ثالثاً: من جهة كونه شرحاً

أن ينظر إلى التفسير من جهة كونه شرحا لمجرد معنى اللفظ في اللغة، ثم لمعنى الجملة أو الآية على سبيل الإجمال، وهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى قسمين: (1) تفسير إجمالي. (2) تفسير تحليلي.

رابعاً: من جهة تناوله لموضوعات القرآن

أن ينظر إلى التفسير من جهة خصوص تناوله لموضوع ما من موضوعات القرآن الكريم، عاما كان كالعقيدة والأحكام أو خاصا كالصلاة والوحدانية ونحوها. وهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى: (1) تفسير عام. (2) تفسير موضوعي.

الحديث النبوي

السنة النبوية هي كلّ ما ورد عن رسول الله من قول، أو فعل، أو عمل، أو تقرير، أو صفة، وما إلى ذلك، وهي من الأهميّة بمكان أنّها حَفِظَتْ للمسلمين إرث الرسول الأعظم محمّد كاملاً، فصاروا بقراءتهم للأحاديث الصحيحة كأهم يتواجدون معه في المكان نفسه، ومن هنا فقد حصلت السنة النبوية على أهميّة كبيرة في التاريخ الإسلامي بشكل كبير.

اعتنى المسلمون عبر العصور بتدوين السنة النبوية الشريفة؛ حيث استطاعوا تنقيتها قدر المستطاع، فهي ليست محفوظة كالقرآن الكريم، بل قابلة للدس، والتغيير من قبل المترصين بهذه الأمة من أعدائها الخارجين أو الداخلين، لهذا فقد وضع علماء المسلمين عدّة ضوابط منهجيّة وعلمية لنقل السنة النبوية، وفيما يلي المراحل التي تمّ بها تدوين السنة.

مراحل تدوين السنة

في عهد الرسول ﷺ

كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يحرص حرصاً شديداً وكاملاً على حفظ القرآن الكريم فقط، وكان يأمر الصحابة الكرام باستمرار بحذف كلّ ما دُونوه عنه عدا الآيات القرآنية، خشية منه على أمّته من

التداخل والالتباس فيما بعد، إلا أن الصحابة حفظوا وفهموا أقوال الرسول وتصرفاته في حياته، فاستطاعوا حفظ السنة بأدمغتهم وعقولهم. مع هذا فقد كان هناك بعض الصحابة وهم قلة ممن سمح لهم الرسول الأعظم بكتابة أقواله، فقد أمن عليهم من حدوث الالتباس في المستقبل. في الخلافة الراشدة لم تكن هناك محاولات أبداً لحفظ السنة النبوية وتدوينها

في زمن الخلافة الراشدة،

فقد اهتم الخلفاء الراشدين بحفظ كتاب الله وجمعه من الصدور، وأدوات الكتابة المختلفة، خشيةً عليه من الضياع بسبب ما حدث من أحداث سياسية أُلحقت أذىً كبيراً بحفظ القرآن العظيم.

في الخلافة الأموية

بسبب اتّساع رقعة الدولة الإسلامية في زمن الخلافة الأموية، صار المسلمون بحاجة ماسّة للاطلاع على الإرث المصطفوي، فألحّ الناس على الخليفة عمر بن عبد العزيز بأن تشرف الدولة على تدوين السنة النبوية وجمعها، فرضخ لهم، وأوكل هذه المهمة إلى علماء المسلمين، ومن شدّة رغبتهم وحرصهم الشديد على حفظ السنة وتنقيتها من أية شوائب محتملة ظهر لديهم الإسناد، الذي حصر الأحاديث النبوية في أضيق الحدود.

وضع الكتب

في هذه المرحلة تم وضع الكتب الخاصة بعلوم السنة النبوي؛ حيث استطاع العلماء أن يضعوا كتب الجوامع، والسنن، والمصنفات، والمسانيد، وغير ذلك، فقد كان لكل إمام من الأئمة كتابه الخاص، الذي جمع فيه الأحاديث النبوية؛ حيث تمّ جمع الأحاديث بناءً على شروط كلّ عالم من العلماء في قبول الحديث أو رده، ومن العلماء من آثر جمع كلّ ما سمعه مع وضعه للسند، فكانت مثل هذه الكتب تسمى بالجوامع، لأنها تجمع مختلف أصناف الحديث من حيث الدقة.

كتب الصحاح (كتب الحديث الستة)

كتب الحديث الستة أو الكتب الستة، أو كتب الأمهات الست، هو مصطلح يطلق على ستة كتب حديث عند علماء أهل السنة والجماعة. كانت خمسة، فألحق بها كتاب ابن ماجه فأصبحت تعرف بالكتب الستة، وكان ذلك على يد محمد بن طاهر المقدسي (ت 507 هـ)، صاحب كتاب شروط الأئمة الستة. وسار على منواله الحافظ عبد الغني المقدسي المتوفى في سنة 600 هـ، فضمن كتابه الكمال في أسماء الرجال رجال ابن ماجه كأحد الستة، ثم درج على هذا أصحاب كتب الأطراف وكتب الرجال، ومرجع تقديم كتاب ابن ماجه على كتاب الموطأ للإمام مالك، إلى أن زوائد ابن ماجه على الكتب الخمسة كثيرة، بينما نجد أحاديث الموطأ موجودة في الكتب الخمسة. وقد قدم الموطأ على سنن ابن ماجه كل من أبي الحسن أحمد بن رزين السرقسطي (ت

535 هـ) في كتابه "التجريد في الجمع بين الصحاح"، وأبي السعادات مبارك بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري المتوفى (ت 606 هـ)، ومن المعروف أن علماء المغرب يقدمون كتاب الموطأ على بعض الصحاح.

كتب الصحاح الستة

الاسم،	المؤلف،	
صحيح البخاري	الإمام البخاري	194 – 256 هـ
صحيح مسلم	الإمام مسلم	204 - 261
سنن أبو داود	أبو داود	202-275
سنن الترمذي	الترمذي	209 - 279
سنن النسائي	النسائي	215 - 300
سنن ابن ماجة	ابن ماجة	209 - 273

Module III:

Arabic Literature in Umayyad Period

الأدب العربي في العصر الأموي

- Development of Poetry in Umayyad period, Nature and development of Naqaaidh Poetry, Political and Ghazalpoetry – famous poets.
- Development of Prose in Umayyad period, Characteristic features, Orators, Risala writers, Literarycriticism, Development of Umayyad prose style.

الأدب في العصر الأموي

يُعدُّ العصر الأمويُّ واحدًا من أكثر عصور الأدب العربي ازدهارًا في نتاجه الشعريِّ؛ فقد بلغ الأدب العربي أوجه في هذا العصر، واحتضنته بيئات جديدة غير بيئة الجزيرة العربية، ممَّا جعل هذا الأدب يتلوَّن بألوان هذه البيئات ويتأثر بها، فقد كان لكلِّ من بيئات الشام وخراسان والعراق ومصر والأندلس والمغرب الأثر القويِّ في تطوُّر الحياة الفكرية والأدبيَّة والاجتماعية، ولعلَّ من أبرز المؤثرات الاجتماعية ظهور طبقة الموالى الذين شاركوا في الحياة الأدبية، حيث ظهر منهم الكتاب والشعراء والخطباء، بالإضافة إلى اهتمام البلاط الأموي بهم، وفي هذا المقال سيتم الحديث أكثر عن الشعر في العصر الأموي.

تطور النثر والشعر في العصر الأموي

هو العصر الذي كانت الدولة الإسلامية فيه في أيدي الأمويين

بالشام، بدأت الخلافة سنة 41 هجرية إلى أن أخذها العباسيون سنة

132 هجرية. وعاصمة هذه الخلافة دمشق، تولى مقاليد الخلافة في

هذا العهد ثلاثة عشر خليفة ، وجاء تحت هذا الحكم الحجاز والعراق
والجزيرة وأرمينية والشام ومصر وأفريقيا.

البيئات الأدبية في العصر الأموي :نافست مكة والمدينة في شعر
الغزل، فكان لها شعراء في الغزل، من أبرزهم عمر بن أبي ربيعة وعبيد
الله بن قيس الرقيات، والحارث بن خالد المخزومي وغيرهم. رجعت
معارك العصبية القبليّة إلى الشعر. وقل نشاط الشعر في الكوفة
والشام ونجد ومصر. وكان لسوق المربد في البصرة أثر كبير في الأدب
والشعر واللغة في العصر الأموي، وظهر في هذا العصر الشعر الديني
الذي يتحدث عن الزهد والتنسك والانصراف عن متاع الدنيا ، وكان
الشعراء يشتركون في المنافسة الفقهية ومجالس المتكلمين فصاروا
يأتون هذه المباحث في أشعارهم، كما ظهرت أشعار فلسفية تأثرا
بالمجادلات والمناظرات الفكرية والفلسفية.

أنواع الشعر وخصائصه في العصر الأموي: من أغراض الشعر وأنواعه في هذا العصر الغزل والنسيب، المدح والرثاء، والوصف والزهد، والهجاء والنقائض، ومن خصائصه من ناحية الألفاظ والأساليب، تأثير القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وكذا تأثر بحضارة العصر الأموي وتأثر بالألفاظ البادية وأسلوبها، ومن ميزات من ناحية المعاني والأخيلة، الدقة والعمق وترتيب الأفكار وثروة الحكم والأمثال وتنوع التشبيه وسمات الخيال.

هناك عوامل عدّة شجّعت الخطابة في عصر بني أمية منها: كثرة الأحزاب السياسية والمذاهب الدينيّة وتنافس هذه الأحزاب والمذاهب ليثبت كل منها أنه على حقّ وأن منافسه على باطل. ومنها: ازدهار الوعظ الديني وبروز وعّاظ متخصصين في هذا الفن، بالإضافة إلى الخطب التي سبّها الإسلام كخطب الجُمع والأعياد ومواسم الحج. ومنها:

كثرة الوفود التي كانت تفتد على الخلفاء والأمراء من الأقاليم لتعرض أحوالها ومشكلاتها على المسؤولين.

الشعر في العصر الأموي

أجمع المؤرخون بأنّ الشعر في العصر الأموي كان صقلًا للآداب الجاهلية، وولادة الأدب في العصر الإسلامي، حيث بقيت الأغراض الشعرية التي وُجدت في العصر الجاهلي وصدر الإسلام نفسها في العصر الأموي، إلا أنّ الجدير بالذكر ظهور لون جديد من الشعر لا عهد للعرب به من قبل إلى جانب ألوان الشعر المتعارف عليها في ذلك الوقت، وهو الشعر السياسي، وذلك بفعل الأحزاب السياسية التي اتخذت لها شعراء ناطقين بلسانهم، حتى كاد الطابع السياسي يغلب على الشعر من جراء هذا الصراع، وقد عُني الشعراء في العصر الأموي بتنقيح شعرهم وتهذيبه والعناية أيضًا بالبناء الفني لقصائدهم، غير أنّه في جُلّه يخلو غالبًا من الصدق؛ لأنّ الدافع إلى قوله كان الرغبة في العطاء، وقد شهد الشعر في العصر الأموي ازدهار فن آخر من الفنون الشعرية وهو الشعر الغزلي، الذي بدأ وتفتّحت براعمه في العصر الإسلامي، حيث توفرت جُملة من الأسباب والدواعي لازدهار هذا الفن الشعري بأنواعه الثلاثة؛ وهي الحضري والبدوي والنسيب، ولا عجب في انصراف شعراء الغزل إلى اللهو وسماع الغناء بالإضافة إلى التعرّض

للنساء، فافتنوا في شعرهم افتتاناً ارتقى بالشعر الغزلي إلى مرتبة رفيعة لم يصل إليها ويبلغها الشعر العربي من قبل، وكان رائد هذا اللون من الشعر الشاعر القرشي عمر بن أبي ربيعة، إضافةً إلى شعراء النقائض والطبيعة والزهد وغيرهم.

شعر النَّقائض

النَّقائض هي مُصطلح أدبي يُطلق على نمطٍ معيّن من الأنماط الشعريّة، وظهرت في البيئّة الأمويّة بين ثلاثة من فحول الشعراء العرب المعروفين، وسُمّيت بالنَّقائض؛ لأنها تُقال لتنقض ما يقوله الآخر. تُعدّ النَّقائض من الفنون الشعريّة المهمّة؛ وذلك لما فيها من قصص وعبء وحكم، إضافةً إلى كونها منبعاً للمعاني والصّور الفنيّة المجسّدة للفكرة والمعنى خير تجسيد.

أشهر شعراء النَّقائض

ارتبطت النَّقائض بثلاثة شعراء، هم: الأخطل، والفرزدق، وجريير. إلا أنّ النَّقائض لا تعني أنّ الشعراء يحملون على بعضهم الكره والحقد، فعلى الرّغم من هجاء بعضهم بعضاً إلا أنّهم حزنوا على فراق بعضهم، وخير مثال على ذلك هو رثاء جريير للفرزدق عند موته بقصيدة مؤثّرة جداً.

الشعر السياسي

عُرف الشعر السياسي في العصر الأموي بأنه الشعر الذي قاله الشعراء التابعون للاتجاهات السياسية والأحزاب المتصارعة على الخلافة في العصر الأموي، وقد ازدهر الشعر السياسي في العصر الأموي حتى أصبح غرضًا قائمًا بذاته في الأدب الأموي، وكان من أبرز أشكاله الهاشميات والنقائض. وتُعرف الهاشميات في الشعر السياسي في العصر الأموي، بأنها القصائد التي قيلت في حب الهاشميين وتمجيدهم، وذكر محاسنهم التي جعلتهم أحقّ بالخلافة من غيرهم، وكان الكُميت بن زيد الأسديّ، من أبرز الشعراء الذين اشتهروا بالهاشميات، ونظم في مختلف مضامينها.

الغزل

هو نوعٌ من أنواع الشعر الذي يكون موضوعه الرئيسيّ هو التّغني بالحبيبة وذكرِ محاسنها؛ حيث يقوم الشاعر بوصفِ جمالِ محبوبته ويذكر مواطنِ الجمال فيها، كأن يتغني بجمال جسديها، أو جمال عيونها، أو إشراقه وجهها، كما يَبُتُّ فيه الشاعر شكواه من ألم فراق الحبيبة، وابتعادها عنه أو سفرها. هناك نوعان من الغزل: الغزل العُدري، والغزل الصّريح، كما أنّ هناك العديدُ من الشعراء الذين اشتهروا في هذا المجال.

أنواع الغزل:

1 الغزل العُدري

وهو نوعٌ من الغزل يقتصر فيه الشاعر على ذكر محاسن محبوبته المعنوية، بعيداً عن وصفِ جسدها؛ حيث يتحدثُ عن مشاعره اتجاهها، وعن ألم الفراق، وصعوبة اللقاء بينهما، وقد اشتهر هذا النوع من الغزل في العصر الأموي، وقد سُمي بهذا الاسم نسبةً إلى بني عذرة، الذين اشتهروا بشدة إخلاصهم في الحب؛ حيث كان منهم من يموت عشقاً.

من خصائص الشعر العذري العفة؛ حيث لا يتم ذكر أي محاسن جسدية، بالإضافة إلى الإخلاص لمحبوبة واحدة؛ حيث تشتهر هذه الفتاة، ويشيع ذكر اسمها بين الناس وينادى الشاعر باسمها، وهناك العديد من الشعراء الذين ارتبطت أسماءهم بأسماء محباتهم مثل: كثير عزة، ومجنون ليلى، وجميل بثينة.

من أهم الشعراء الذين لمع صيتهم في هذا المجال: قيس بن الملوّح، الذي اشتهر باسم مجنون ليلى، وقد كانت ابنة عمه التي تربي معها، فأحبها حباً شديداً، لكنّها عندما كبرت أرغمت على الزواج من شخصٍ آخر، الأمر الذي لم يستطع قيس تحمله؛ ففقد عقله، ولُقب بمجنون ليلى، ومن الأبيات المشهورة له:

خليلي لا والله لا أملكُ الذي قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليّيا

قضاهَا لغيري وابتلاني بحبّها فهلاً بشيءٍ غير ليلى ابتلانيا

2 الغزل الصريح

وهو أحد الأغراض الشعريّة في التغزّل في المرأة؛ إذ يقوم الشّاعر بوصف مُغامراته مع النّساء، ومن أهمّ مُميزات هذا الشّعر هو أنّ الشّاعر لا يقتصر على اسم امرأةٍ واحدة، بل تجدّه يذكّر العديد من النّساء بالإضافة إلى الجوّاري، كما يقوم الشّاعر بتصوير جسد المرأة بشكلٍ مُفصّل، من مَشيتها، وبشرتها، وأعضائها، ولعلّ من أبرز الشّعراء الذين برزوا في هذا المجال هو عُمر بن أبي ربيعة، الذي عُثر في أشعاره على أكثر من اثنين وأربعين عشيقه.

أهم شعراء العصر الأموي

جرير

هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبى اليربوعي، وكنيته أبو حزة، من أبناء تميم، وكانت ولادته ووفاته في منطقة اليمامة، وامتاز بعفته وبأنه أشعر شعراء زمنه وأغزل الناس شعراً؛ حيث عاش طيلة حياته مناضلاً لشعراء زمانه، وكان يُساجل الشعراء، ولم يثبت أمامه سوى الأخطل والفرزدق، ويُعتبر جرير أحد الشعراء الأمويين الذين اعترت بهم الدولة الأمويّة أشدّ اعتزاز، ومدح بني أمية عندما

قدّمه الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان للمرّة الأولى، فقال
ففيهم:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطنون راح

الأخطل

حظي الأخطل باعتزاز الأمويين وإكرامهم، حيث أطلق عبد الملك بن مروان عليه لقب شاعر بني أمية، وخاصةً بعد مدحه لبني أمية في قصيدة خَفَّ القَطِينُ، [٢] كما لُقّب بشاعر أمير المؤمنين، والأخطل هو غيَاث بن غوث التغلبي، والمُكْتَبَى بأبي مالك، وُلد في الحيرة، وكان والده تغلبياً فقيراً، وبرع في الشعر منذ صباه، وتعدّدت أغراضه الشعرية من مدح، وفخر، ووصف، وهجاء، وشكّل الأخطل مع كلِّ من جَرِير والفرزدق ما يُعرف بالمثلث الأمويّ؛ إذ إنهم ابتكروا شعر النقائض، ومن أشعاره التي مدح بها بني أمية البيت الشعريّ الذي قال فيه:

شُمسُ العداوة حتى يُستقادَ لهممٌ وَأَعْظَمُ الناسِ أحلامًا إذا قدرُوا

الفرزدق

يُمثّل الفرزدق أحد فحول الشعر العربيّ في العصر الأمويّ، وهو أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي، ويُذكر أنّه وُلد في مدينة البصرة، وترعرع في باديتها مع والده، وبرع في الشعر منذ نعومة أظفاره، ولقد اتصل بولاية العراق؛ فأخذ يمدحهم ويهجوهم، ثمّ

رحل إلى مدينة دمشق، ومدح الخلفاء الأمويين ونال عطاياهم وجوائزهم، ونظم في أغراض الشعر المتعدّدة من مدح، وهجاء، وفخر، وامتاز شعره بخشونة الألفاظ، وصعوبة المعاني، والإكثار من الفخر، ويجدر بالذكر أنّ له الأثر الكبير في اللغة العربية؛ حيث قيل: لولا شعر الفرزدق لذهبت ثلث لغة العرب، ونصف أخبار الناس، وكانت وفاته في مدينة البصرة عام 728م، ومن أشعاره هذه الأبيات الشعرية الذي قال فيها:

لَوْ أَعْلَمُ الْأَيَّامَ رَاجِعَةً لَنَا، بَكَيتُ عَلَى أَهْلِ الْقِرَى مِنْ مُجَاشِعِ

بَكَيتُ عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ هَوَتْ بِهِمْ دَعَائِمُ مَجْدٍ كَانَتْ صَحْمَ الدَّسَائِعِ

إِذَا مَا بَكَى الْعَجْجَاجُ هَيَّجَ عَبْرَةً لَعَيْتِي حَزِينٍ شَجْوُهُ غَيْرَ رَاجِعِ

عمر بن أبي ربيعة

يُعدُّ الشاعر عمر بن أبي ربيعة أرقَّ شعراء العصر الأمويّ، وهو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، وكنيته أبو الخطاب، وهو من طبقة الشعارين جرير والفرزدق، ويُقال أنّه لم يكن في قريش أحداً أشعر منه، ويُذكر في سبب تسميته بعمر أنّ ولادته كانت في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان يذهب إلى عبد الملك بن مروان فيُكرمه ويُقرِّبه منه، وقيل أنّه كان دائم التشبُّب بالنساء؛ ولذلك نفاه عمر بن العزيز إلى دهلك، واحترقت السفينة به وبمن كان معه، ومات غرقاً بالسفينة، ومن الأشعار التي قالها ما يأتي:

أَجْنُ إِذَا رَأَيْتُ جَمَالَ سُعْدَى، أَجْنُ إِذَا رَأَيْتُ جَمَالَ سُعْدَى
وَأَبْكِي، إِنْ رَأَيْتُ لَهَا قَرِينَا وَقَدْ أَفِدَ الرَّحِيلُ فَقُلْ لِسُعْدَى
لِعَمْرِكِ، خَبْرِي مَا تَأْمُرِينَا الْإِيَالِيلِ، إِنْ شَفَاءَ نَفْسِي

النثر في العصر الأموي

عرف العرب فنون النثر قديمًا لحاجتهم إليها، إذ كانوا يحتاجون إلى الكتابة أيضًا في كتابة مواعيقهم وصكوك التعامل التجاري بينهم، واحتاجوا أيضًا لكتابة الرسائل والمناظرات، وعندما تطوّر المجتمع الإسلامي في العصر الأموي واتسعت رقعة الدولة وُجدت الحاجة إلى إنشاء الدواوين، كديوان الرسائل والجيش وديوان الخاتم، وعند الحديث عن الأدب في العصر الأموي لا بدّ أيضًا من التطرّق إلى ذكر أهم فنون النثر التي ظهرت وقتئذٍ وهي الخطابة، فقد عرف العصر الأموي الخطابة التي كانت شائعة في العصر الإسلامي، وخصوصًا الخطابة السياسية، التي ازدهرت بفعل الصراعات بين الأحزاب السياسية، واشتهرت كذلك الخطب الحربية التي كانت تُلقى من قِبل قادة الجيوش ممن يجيدون الخطابة، ومن هذا القبيل خطبة طارق بن زياد في فتح الأندلس، بالإضافة إلى الخطابة الدينية التي كانت تُلقى في المساجد في الأعياد وأيام الجُمع وقد كان ظاهرًا عليها الوعظ والإرشاد. وفي هذا السياق الذي يتحدث عن الأدب في العصر الأموي، سيتم الحديث عن أبرز خصائص النثر في العصر الأموي، فقد حرص الكُتّاب والخطباء على تجويد كتاباتهم وتنميقها حتى تأتي في الصورة التي يرضونها.

الخطابة

حفلت الكتب الأدبية بنماذج من الأدب الرفيع تنم عن مدى ما وصلت إليه عناصر المجتمع في العصر الأموي من تعمق في دراسة العلوم الإسلامية واللغة العربية وتفنن في استخدام مصطلحاتها، وكما كان لكل فئة من الفئات المتنافسة شعراؤها فقد كان هناك لكل فئة أيضًا خطباؤها اللذين يدافعون عن وجهة نظرها، وبأقوى الحجج.

فكان من خطباء العصر الأموي كل من: سَحْبَان بن وائل الباهلي، وزياد بن أبي سفيان، والحجاج بن يوسف الثقفي، وأبي حمزة المختار بن عوف الأزدي، والأحنف بن قيس التميمي، وصَعَصَعَة وزيد وسيحان أبناء صوحان بن حجر العبدي. وكثير غيرهم.

الرسائل

وفي أدب الرسائل والمراسلات ظهرت نماذج متعددة وعلى فترات، تفيد بتقدم عصر بني أمية في هذا المجال، ودراسة رسائل بعض الخلفاء الأمويين، مثل: معاوية وعبد الملك وعمر بن عبد العزيز، ورسائل بعض ولايتهم، مثل: زياد والحجاج ونصر بن سيار الليثي، وما ورد في هذه الرسائل من صيغ وعبارات وأمثال وحكم، يدعم ما قلناه عن تقدم هذا الفن حتى قبل ظهور عبد الحميد بن يحيى المعافري، المعروف بالكاتب، إبان فترة خلافة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية (127 - 132 هـ / 744 - 749 م)، وما عبد الحميد نفسه إلا حلقة في تلك السلسلة.

عبد الحميد الكاتب

كان عبد الحميد واسع الثقافة، فقد حفظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وخطب الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وحفظ أخبار العرب وأشعارهم وأمثالهم، وسبق له أن درس على أبي العلاء سالم بن عبد الله كاتب رسائل الخليفة هشام بن عبد الملك ومترجم رسائل أرسطو إلى الإسكندر، ونظرًا لثقافته الواسعة في الدين واللغة العربية، فقد برع عبد الحميد في استخدام العبارات المنمقة حين كان يكتب رسائل الخليفة مروان بن محمد، ويبدو أنه كانت له اليد الطولى في ذلك، فأصبح يعتبر مؤسسًا للكتابة الفنية وواضعًا لأصولها، بحيث قيل: "بُدئت الكتابة بعبد الحميد .."، ومع ذلك فإن هناك من يزعم بأن عبد الحميد الكاتب لم يسمو بمكانته الريادية في مجال الكتابة إلا بفضل الترجمات عن اليونانية أو الفارسية.

النقد في العصر الأموي

بدأ الأدباء في العصر الأموي يقصدون إلى النقد ويتجادلون في تقديم بعض الشعراء على بعض وفي خصائص هؤلاء الشعراء، ولكن على غير منهج واضح ولا حبا باستخراج قواعد عامة: لقد بقي النقد في هذا العصر آراء شخصية وملاحظات عابرة، قال محمد بن سلام الجمحي في كتابه «طبقات الشعراء» "لما هرب الفرزدق من زياد بن أبيه في

العراق أتى سعيد بن العاصي، وهو والٍ على المدينة أيام معاوية بن أبي سفيان، فاستجاره. فأجاره سعيد. وكان الحطيئة وكعب بن جعيل الشاعران في مجلس سعيد، فأنشد الفرزدق سعيدا يمدحه:

تري الغرّ الججاجح من قريشٍ إذا ما الأمر في الحدثان عالا

بني عمّ النبيّ ورهط عمرو وعثمان الألي غلبوا فعالا

قياما ينظرون إلى سعيدٍ كأنهم يرون به هلالا

فقال الحطيئة (لسعيد): هذا، والله، الشعر، لا ما كنت تعللّ به منذ اليوم (مما كان ينشدك كعب بن جعيل)، أيها الأمير! فقال كعب بن جعيل (للحطيئة): فضّل (الفرزدق) على نفسك ولا تفضّله على غيرك. فقال (الحطيئة): بلى، والله، أفضّله على نفسي وعلى غيري.... ثمّ التفت الحطيئة إلى الفرزدق وقال له: يا غلام، لئن بقيت لتبرزن علينا!

وفي «طبقات الشعراء» أيضا: قال الأخطل لابنه مالك: انحدر إلى العراق حتّى تسمع من جرير والفرزدق وتأتيني بخبرهما. فلقهما مالك ثم أتى أباه فقال: جرير يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر. فقال الأخطل: فجرير أشعرهما!

B. Detailed Study

دراسة تفصيلية

Module IV: Prose

- سورة النور (تفسير صفوة التفاسير)
- كتاب العلم من صحيح البخاري (شرح فتح الباري)
- خطبة قس بن ساعد الأيادي في سوق عكاظ
- خطبة أبي بكر عند تولية الخلافة
- وصية أمامة بنت حارث إلى ابنتها أم غياث

سورة النور

مدنية وآياتها أربع وستون آية

بين يدي السورة

- سورة النور من السور المدنية، التي تتناول الأحكام التشريعية، وتعنى بأمور التشريع، والتوجيه والاخلاق، وتهتم بالقضايا العامة والخاصة التي ينبغي ان يربى عليها المسلمون، افرادا وجماعات، وقد اشتملت هذه السورة على احكام هامة وتوجيهات عامة تتعلق بالأسرة، التي هي النواة الأولى لبناء المجتمع الأكبر.
- وضحت السورة الآداب الاجتماعية التي يجب أن يتمسك بها المؤمنون في حياتهم الخاصة والعامة، كالاستئذان عند دخول البيوت، وغض الابصار، وحفظ الفروج، وحرمة اختلاط الرجال بالنساء الأجنيات، وما ينبغي ان تكون عليه الاسرة المسلمة و" البيت المسلم " من العفاف والستر، والنزاهة والطهر، والاستقامة على شريعة الله، صيانةً لحرمتها، وحفاظا عليها من عوامل التفكك الداخلي، والانهيار الخلقي، الذي يهدم الأمم والشعوب.
- وقد ذكرت في هذه السورة الكريمة بعض الحدود الشرعية التي فرضها الله كحد الزنى، وحد القذف، وحد اللعان، وكل هذه الحدود انما شرعت تطهيرا للمجتمع، من الفساد والفوضى، واختلاط

الانساب، والانحلال الخلقي، وحفظاً للأمة من عوامل التردّي في بؤرة الإباحية والفساد، التي تسبب ضياع الأنساب، وذهاب العرض والشرف.

● وباختصار فإن هذه السورة الكريمة عالجت ناحية من أخطر النواحي الاجتماعية هي (مسألة الاسرة) وما يحفها من مخاطر، وما يعترض طريقها من عقبات ومشاكل، تؤدي بها إلى الانهيار ثم الدمار، هذا عدا عما فيها من آداب سامية، وحكم عالية، وتوجيهات رشيدة، إلى أسس الحياة الفاضلة الكريمة، ولهذا كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى اهل الكوفة يقول لهم: علموا نساءكم سورة النور.

التسمية: سميت (سورة النور) لما فيها من إشعاعات النور الرباني، بتشريع الأحكام والآداب، والفضائل الانسانية، التي هي قبس من نور الله على عباده، وفيض من فيوضات رحمته وجوده [الله نور السموات والأرض] اللهم نور قلوبنا بنور كتابك المبين يا رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (1) الرَّانِيَةُ وَالرَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةً وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (2) الرَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالرَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (3) وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ

ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (4) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5) وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (6) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (7) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (8) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (9) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (10) إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا نَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكَلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ مَا كُتِبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (12) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (13) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (14) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (16) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (17) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (18) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (19) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ (20)

اللغة: [سورة] السورة في اللغة: المنزلة السامية والمكانة الرفيعة، قال
النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

وسميت المجموعة من الآيات لها بدء ونهاية "سورة" لشرفها وارتفاعها
كما يسمى (السرور) للمرتفع من الجدار. [الزاني] الزنى: الوطء المحرم
ويسمى الفاحشة لتناهي قبحه، وهو مقصور وقد يمد على لغة أهل
نجد فيقال الزناء، قال الفرزدق:

أبا طاهر من يزن يعرف زناؤه ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا

[رأفة] شفقة وعطف مأخوذ من رؤف إذا رق ورحم. [المحصنات]
العفيفات وأصل الإحصان المنع، سميت العفيفة محصنة لأنها منعت
نفسها عن القبيح، ومنه الحصن لأنه يمنع من الأعداء. [يدرأ] يدفع،
والدرء: الدفع. [تشيع] شاع الأمر شيوعاً: إذا فشا وظهر وانتشر.
[عصبة] العصبة: الجماعة الذين يتعصب بعضهم لبعض.

سبب النزول:

1 - روي أن امرأة تدعى "أم مهزول" كانت من البغايا فكانت تسافح الرجل،
وتشترط أن تنفق عليه، فأراد رجل من المسلمين أن يتزوجها فذكر ذلك
لرسول الله ﷺ فأنزل الله [الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك] الآية.

2 - عن ابن عباس أن (هلال بن أمية) كذف امرأته عند النبي P (شريك بن سحماء) فقال له النبي P: " البينة أو حد في ظهرك " فقال يا رسول الله: اذا رأى أحدنا مع امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة؟ والذي بعثك بالحق إني لصادق، ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد! فنزلت: [والذين يرمون أزواجهم..] الآية.

التفسير: [سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا] أي هذه سورة عظيمة الشأن، من جوامع سور القرآن، وأحياناها اليك يا محمد [وَفَرَضْنَاهَا] أي أوجبنا ما فيها من الأحكام ايجابا قطعيا [وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ] أي أنزلنا فيها آيات تشريعية، واضحات الدلالة على أحكامها، لتكون لكم - أيها المؤمنون - قبسا ونبراسا، وتكرير لفظ الإنزال لإبراز كمال العناية بشأنها، فكأنه يقول: ما أنزلتها عليكم لمجرد التلاوة، وإنما أنزلتها للعمل والتطبيق [لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(1)] أي لكي تعتبروا وتتعضوا بهذه الأحكام، وتعملوا بموجبها.. ثم شرع تعالى بذكر الأحكام وبدأ بحد الزنى فقال سبحانه: [الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ] أي فيما شرعت لكم وفرضت عليكم، أن تجلدوا كل واحد من الزانيين - غير المحصنين - مائة ضربة بالسوط، عقوبة لهما على هذه الجريمة الشنيعة [وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ] أي لا تأخذكم بهما رقة ورحمة، في حكم الله تعالى، فتخففوا الضرب أو تنقصوا العدد، بل أوجعوهما ضربا، قال مجاهد: لا تعطلوا حدود الله، ولا تركوا إقامتها شفقة ورحمة [إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ] هذا من باب

الإلهاب والتهبيج، أي إن كنتم مؤمنين حقا تصدقون بالله وباليوم الآخر، فلا تعطلوا الحدود، ولا تأخذكم شفقة بالزناة، فإن جريمة الزنى أكبر من أن تستدر العطف، أو تدفع إلى الرحمة [وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ(2)] أي وليحضر عقوبة الزانيين جماعة من المؤمنين، ليكون أبلغ في زجرهما، وأنجع في ردهما، فإن الفضيحة قد تنكل أكثر مما ينكل التعذيب [الرَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً] أي الزاني لا يليق به أن يتزوج العفيفة الشريفة، انما ينكح مثله أو أخس منه، كالبغي الفاجرة، أو المشركة الوثنية [وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ] أي والزانية لا يليق ان يتزوج بها المؤمن العفيف، انما يتزوجها من هو مثلها أو أخس منها "كالزاني الخبيث أو المشرك الكافر، فإن النفوس الطاهرة تأبى الزواج بالفواجر الفاسقات، قال الامام الفخر: " من أحسن ما قيل في تفسير هذه الآية: أن الفاسق الخبيث - الذي من شأنه الزنى والفسق - لا يرغب في نكاح الصالح من النساء، وإنما يرغب في فاسقة خبيثة مثله، أو في مشركة، والفاسقة الخبيثة لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها، وإنما يرغب فيها من هو من جنسها من الفسقة والمشركين، وهذا على الأعم الأغلب، كما يقال: لا يفعل الخير إلا الرجل التقي، وقد يفعل بعض الخير من ليس بتقي، فكذا هنا" [وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ(3)] أي وحرم الزنى على المؤمنين، لئسنا نعتبه وقبحه، أو حرّم نكاح الزواني على المؤمنين، لما فيه من الاضرار الجسيمة.. ثم شرع تعالى في بيان حد القذف فقال:

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ] أي يقذفون بالزنى العفيفات الشريفات [ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ] أي ثم لم يأتوا على دعواهم بأربعة شهود عدول، يشهدون عليهم بما نسبوا اليهن من الفاحشة [فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً] أي اضربوا كل واحد من الرامين، ثمانين ضربة بالسوط ونحوه، لأنهم كذبة يتهمون البريئات، ويخوضون في أعراض الناس [وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا] أي وزيدوا لهم في العقوبة بإهدار كرامتهم الإنسانية، فلا تقبلوا شهادة أي واحد منهم ما دام مصرا على كذبه وبهتانه [وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ(4)] أي هم الخارجون عن طاعة الله عز وجل، لإتيانهم بالذنب الكبير، والجرم الشنيع، قال ابن كثير: أوجب تعالى على القاذف، إذا لم يقم البيينة على صحة ما قال، ثلاثة أحكام: أحدها: أن يجلد ثمانين جلدة، الثاني: أن ترد شهادته أبدا، الثالث: أن يكون فاسقا ليس بعدل، لا عند الله ولا عند الناس [إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ] أي إلا الذين تابوا وأنابوا، وندموا على ما فعلوا، من بعد ما اترفوا ذلك الذنب العظيم [وَأَصْلَحُوا] أي أصلحوا أعمالهم فلم يعودوا إلى قذف المحصنات، قال ابن عباس: أي أظهروا التوبة [فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(5)] أي فاعفوا عنهم واصفحوا، وردوا اليهم اعتبارهم بقبول شهادتهم، فإن الله غفور رحيم يقبل توبة عبده إذا تاب وأناب، وأصلح سيرته وحاله.. ثم ذكر تعالى حكم من قذف زوجته وهو المعروف (باللعان) فقال سبحانه: [وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ] أي يقذفون زوجاتهم بالزنى [وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا

أَنْفُسُهُمْ] أي وليس لهم شهود يشهدون بما رموهن به من الزنى، سوى شهادة أنفسهم [فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ] أي شهادة أحدهم التي تزيل عنه حد القذف، أربع شهادات بالله تقوم مقام الشهداء الأربعة [إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ(6)] أي إنه صادق فيما رمى به زوجته من الزنى [وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ] أي وعليه ايضاً ان يحلف في المرة الخامسة، بأن لعنة الله عليه [إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ(7)] أي إن كان كاذباً في قذفه لها بالزنى [ويدراً عنها العذاب] أي ويدفع عن الزوجة المقذوفة (حد الزنى) الذي ثبت بشهادة الزوج [أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين(8)] أي أن تحلف أربع مرات انه لمن الكاذبين فيما رماها به من الزنى [والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين(9)] أي وتحلف في المرة الخامسة، بأن غضب الله وسخطه عليها إن كان زوجها صادقاً في اتهامه لها بالزنى [ولولا فضل الله عليكم ورحمته] أي ولولا فضل الله عليكم ورحمته بكم بالستر في ذلك، وجواب [لولا] محذوف لتهويل الأمر، تقديره: لفضحكم أو عاجلكم بالعقوبة، ورب مسكوت عنه أبلغ من المنطوق [وأن الله تواب حكيم(10)] أي وأنه تعالى مبالغ في قبول التوبة، حكيم في ما شرع من الأحكام، ومن جملتها (حكم اللعان) قال ابو السعود: وجواب "لولا" محذوف لتهويله كأنه قيل: ولولا تفضله تعالى عليكم ورحمته بكم، لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان، ومن جملته أنه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك، لوجب على الزوج حد القذف، مع أن الظاهر صدقه

لاشترাকে في الفضيحة، ولو جعل شهاداته موجبة لحد الزنى عليهما، لفات النظر لها، ولو جعل شهاداتها موجبة لحد القذف عليه، لفات النظر له، فسبحانه ما أعظم شأنه، وأوسع رحمته، وأدق حكمته..

ثم بين تعالى قصة الإفك التي اتهمت فيها العفيفة البريئة الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالكذب والبهتان فقال سبحانه: [إن الذين جاءوا بالإفك] أي جاءوا بأسوء الكذب، وأشنع صور البهتان، وهو قذف عائشة بالفاحشة، قال الإمام الفخر: الإفك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، وقد أجمع المسلمون على أن المراد ما أفك به على عائشة وهي زوجة الرسول المعصوم [عصبة منكم] أي جماعة منكم أيها المؤمنون وعلى رأسهم "ابن سلول" رأس النفاق [لا تحسبوه شرا لكم] أي لا تظنوا هذا القذف والافتراء شرا لكم يا آل أبي بكر [بل هو خير لكم] لما فيه من الشرف العظيم بنزول الوحي ببراءة أم المؤمنين، وكرامة الله لها بإنزال الوحي في شأنها، والأجر الجزيل لها في الفرية عليها، وموعظة المؤمنين، والانتقام من المفترين [لكل أمرئ منهم ما اكتسب من الإثم] أي لكل فرد من العصبة الكاذبة، جزاء ما اجترح من الذنب على قدر خوضه فيه [والذي تولى كبره منهم] أي والذي تولى معظمه وأشاع هذا البهتان، وهو (ابن سلول) رأس النفاق [له عذاب عظيم(11)] أي له في الآخرة عذاب شديد في نار جهنم [لولا إذ سمعتموه] أي هلا حين سمعتم يا معشر المؤمنين هذا الافتراء، وقذف الصديقة عائشة [ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا] أي هلا

ظنوا الخير ولم يسرعوا إلى التهمة، فيمن عرفوا فيها النزاهة والطهارة؟ فإن مقتضى الإيمان، ألا يصدق مؤمن على أخيه قوله عائب ولا طاعن، قال ابن كثير: هذا تأديب من الله تعالى للمؤمنين في (قصة عائشة) حين أفاض بعضهم في ذلك الكلام السوء، وهلا قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم، فإن كان لا يليق بهم، فأما المؤمنين أولى بالبراءة منه بطريق الأولى والأحرى، روي أن امرأة "أبي أيوب" قالت لزوجها: أما تسمع ما يقول الناس في عائشة! قال: نعم وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله، قال: فعائشة والله خير منك، [وقالوا هذا إفك مبين(12)] أي قالوا في ذلك الحين هذا كذب ظاهر واضح [لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء] أي هلا جاء أولئك المفترون بأربعة شهود، يشهدون على ما قالوا [فإذ لم يأتوا بالشهداء] أي فإن عجزوا ولم يأتوا على دعواهم بالشهود [فأولئك عند الله هم الكاذبون(13)] أي فأولئك هم المفسدون، الكاذبون في حكم الله وشرعه، وفيه توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الإفك، ولم ينكروه أول وهلة [ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة] أي لولا فضله تعالى عليكم - أيها الخائضون في شأن عائشة - ورحمته بكم في الدنيا والآخرة، حيث أمهلكم ولم يعاجلكم بالعقوبة [لمسكم فيما أفضتم فيه] أي لأصابتكم ونالكم بسبب ما خضتم فيه من حديث الإفك [عذاب عظيم(14)] أي عذاب شديد هائل، يستحقرونه الجلد والتعنيف، قال القرطبي: هذا عتاب من الله بليغ لمن خاضوا في الإفك، ولكنه برحمته ستر

عليكم في الدنيا، ويرحم في الآخرة من أتاه تائباً [إذ تلقونه بألسنتكم] أي وذلك حين تتلقونه ويأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه، قال مجاهد: أي يروي بعضكم عن بعض، يقول هذا سمعته من فلان، وقال فلان كذا [وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم] أي تقولون ما ليس له حقيقة في الواقع، وإنما هو محض كذب وبهتان [وتحسبوننا هيناً] أي وتظنوننا ذنباً صغيراً لا يلحقكم فيه إثم [وهو عند الله عظيم(15)] أي والحال انه عند الله من أعظم الموبقات والجرائم، لأنه وقوع في أعراض المسلمين.. عاتبهم تعالى على ثلاثة أشياء: الأول: تلقيه بالألسنة أي السؤال عنه، والثاني: التكلم به، والثالث: استصغاره حيث حسبه هيناً وهو عند الله عظيم، وفائدة قوله (بألسنتكم) وبأفواهكم الإشارة إلى أن ذلك الحديث كان باللسان دون القلب، لأنهم لم يعلموا حقيقته بقلوبهم [ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا] عتاب لجميع المؤمنين، أي كان ينبغي عليكم أن تنكروه أول سماعكم له، وتقولوا: لا ينبغي لنا ان نتفوه بهذا الكلام، ولا نذكره لأحد [سبحانك هذا بهتان عظيم(16)] أي سبحان الله أن يقال هذا الكلام على زوجة رسول الله الطاهرة البريئة، فإن هذا الافتراء كذب واضح، عظيم الجرم، قال الزمخشري: هو بمعنى التعجب من عظيم الأمر، والاستبعاد له، والأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجائب [يعظكم الله أن تعودوا مثله أبدا] أي يذكركم الله ويعظكم بالمواعظ الشافية، لكي لا تعودوا إلى مثل هذا العمل أبداً [إن كنتم

مؤمنين(17)] أي إن كنتم حقا مؤمنين، فإن الإيمان وازع عن مثل هذا المهتان، وفيه حث لهم على الاتعاظ وتهيبج [وبين الله لكم الآيات] أي ويوضح لكم الآيات الدالة على الشرائع، ومحاسن الآداب، لتتعظوا وتتأدبوا بها [والله عليم حكيم(18)] أي عالم بما يصلح العباد، حكيم في تدبيره وتشريعته [إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة] أي يريدون أن ينتشر الفعل القبيح المفطر في القبح، كإشاعة الرذيلة والزنى، وغير ذلك من المنكرات [في الذين آمنوا] أي في المؤمنين الأطهار [لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة] أي لهم عذاب موجه مؤلم في الدنيا بإقامة الحد، وفي الآخرة بعذاب جهنم، قال الحسن: عنى بهذا الوعيد واللعن (المنافقين) فإنهم أحبوا وقصدوا إذابة الرسول μ وذلك كفر وملعون صاحبه [والله يعلم وأنتم لا تعلمون(19)] أي هو تعالى عالم بالخفايا والنوايا، وأنتم لا تعلمون ذلك، قال الإمام الفخر: وهذه الجملة فيها حسن الموقع بهذا الموضع، لأن محبة القلب كامنة ونحن لا نعلمها إلا بالأمارات، أما الله سبحانه فهو لا يخفى عليه شيء، فصار هذا الذكر نهاية في الزجر، لأن من أحب إشاعة الفاحشة، وإن بالغ في إخفاء تلك المحبة، فهو يعلم أن الله تعالى يعلم ذلك منه، ويعلم قدر الجزاء عليه [ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم(20)] جواب [لولا] محذوف لتهويل الأمر أي لولا فضله تعالى على عباده، ورحمته بهم، لأهلكهم وعذبهم، وكان ما كان مما لا يكاد يتصوره الإنسان، لأنه فوق الوصف والبيان، وهذا هو السر في حذف جواب "لولا".

فائدة: لماذا بدأ الله في الزنى بالمرأة، وفي السرقة بالرجل؟
والجواب أن الزنى من المرأة أقبح، وجرمه أشنع فبدأ بها، وأما السرقة
فالرجل عليها أجراً وهو عليها أقدر ولذلك بدأ به [والسارق والسارقة
فاقطعوا أيديهما].

تنبيه: في التعبير بالإحصان [والذين يرمون المحصنات]
إشارة دقيقة إلى أن قذف العفيف من الرجال أو النساء موجب لحد
القذف، وأما إذا كان الشخص معروفاً بفجوره أو اشتهر بالاستهتار
والمجون فلا حد على قاذفه، لأنه لا كرامة للفاسق الماجن !! فتدبر
السر الدقيق.

لطيفة: لماذا عدل عن قوله: [تواب رحيم] إلى قوله: [تواب حكيم] مع
أن الرحمة تناسب التوبة؟ والجواب أن الله عز وجل أراد الستر على
العباد بتشريع (اللعان بين الزوجين)، فلو لم يكن اللعان مشروعاً
لوجب على الزوج حد القذف مع أن الظاهر صدقه، ولو اكتفى بلعانه
لوجب على الزوجة حد الزنى، فكان من الحكمة وحسن النظر لهما
جميعاً أن شرع هذا الحكم، ودرأ عنهما العذاب بتلك الشهادات،
فسبحانه ما أوسع رحمته، وأجل حكيمته!!

قال الله تعالى: [يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان..] إلى قوله [وموعظة للمتقين]. من آية (21) إلى نهاية آية (34).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَّىٰ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّيٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (21) وَلَا يَأْتِلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (22) إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (23) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24) يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (25) الْخَبِيثَاتِ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (26) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (27) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (28) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (29) قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ

خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْتَبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الذِّينِ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (31) وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (32) وَلَيْسَتَغْفِبِ الذِّينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالذِّينَ يَبْتَغُونَ الكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (33) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الذِّينِ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (34)

المناسبة: لما ذكر تعالى حادثة الإفك، أتبعها بالتحذير من سلوك طريق الشيطان المتربص بالإنسان الذي يدعو إلى السوء والشر والفساد، ثم ذكر تعالى آداب الاستئذان والزيارة، لأن أهل الإفك إنما وجدوا السبيل إلى بهتانهم من حيث اتفتت الخلوة فصارت طريقا للتهمة، فأوجب

تعالى ألا يدخل إنسان بيت غيره إلا بعد الاستئذان والسلام، ثم أتبعها
بآيات غض البصر.

اللغة: [يأتل] يحلف والألية: اليمين ومنه [يؤلون من نساءهم] أي
يحلِفون [المحصنات] العفائف الشريفات الطاهرات جمع محصنة
وهي العفيفة [مبراءون] منزهون والبراءة: النزاهة مما نسب للإنسان من
تهمة [تستأنسوا] تستأذنون وأصله في اللغة: طلب الأُنس بالشيء، قال
الشاعر:

عوى الذئب فاستأنست للذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطيّر
[يغضوا] غض بصره: خفضه ونكسه، وأصله إطباق الجفن على
الجفن، قال جرير:

فغض الظرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا
[خمرهن] جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها، وخمروا الأنية أي
غطوها [جيوبهن] جمع جيب وهو الصدر [الإربة] الحاجة إلى النساء
والاستمتاع بهن.
سبب النزول:

1 - كان أبو بكر الصديق ينفق على (مسطح بن أثاثة) لمسكنته وقرابته،
فلما وقع أمر الإفك، وقال فيه مسطح ما قال، حلف أبو بكر ألا ينفق
عليه، ولا ينفعه بِنافعة أبدا، فأنزل الله [ولا يأتل أولوا الفضل منكم

والسعة..] الآية فقال أبو بكر: والله إنني لأحب أن يغفر الله لي، فأعاد إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدا.

2 - عن علي كرم الله وجهه قال: مر رجل على عهد رسول الله ρ في طريق من طرقات المدينة، فنظر إلى امرأة ونظرت إليه، فوسوس لهما الشيطان أنه لم ينظر أحدهما إلى الآخر إلا إعجابا به، فبينما الرجل يمشي إلى جانب حائط وهو ينظر إليها، إذ استقبله الحائط " أي صدمه الحائط " فشق أنفه فقال: والله لا أغسل الدم حتى آتي رسول الله ρ فأعلمه أمري، فأتاه فقص عليه قصته فقال النبي في: هذه عقوبة ذنبك فأنزل الله: [قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم..] الآيات.

التفسير: [يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان] أي يا من صدقتم بالله ورسوله لا تتبعوا آثار الشيطان، ولا تسلكوا مسالكه بإشاعة الفاحشة، والإصغاء إلى الإفك والقول به [ومن يتبع خطوات الشيطان] أي ومن يتبع سيرة الشيطان وطريقته [فإنه يأمر بالفحشاء] أي فإن الشيطان يضل الإنسان ويغويه، لأنه يأمر بالفحشاء وهي ما أفرط قبحه [والمنكر] وهو ما ينكره الشرع، وتنفر منه العقول السليمة [ولولا فضل الله عليكم ورحمته] أي لولا فضل الله عليكم أيها المؤمنون بالتوفيق للتوبة الماحية للذنوب، وبشرع الحدود المكفرة للخطايا [ما زكي منكم من أحد أبدا] أي ما تطهر أحد منكم من الأوزار أبد الدهر [ولكن الله يزكي من يشاء] أي ولكن الله

بفضله ورحمته، يظهر من يشاء بتوفيقه للتوبة النصوح وقبولها منه، قال القرطبي: والغرض أن تزكيتكم لكم، وتطهيره وهدايتة إنما هي بفضله لا بأعمالكم [والله سميع عليم(21)] أي سميع لأقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم [ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة] أي لا يحلف أهل الفضل في الدين وأصحاب الغنى واليسار [أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله] أي أن لا يعطوا أقاربهم من الفقراء والمهاجرين، ما كانوا يعطونهم إياه من الإحسان لذنب فعلوه [وليصفحوا وليصفحوا] أي وليعفوا عما كان منهم من جرم، وليصفحوا عما بدر منهم من إساءة، وليعودوا إلى ما كانوا عليه من الإنعام والإحسان [ألا تحبون أن يغفر الله لكم] أي ألا تحبون أيها المؤمنون أن يغفر الله لكم؟ على عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء اليكم؟ روي أن أبا بكر لما سمع الآية قال: بلى أحب أن يغفر الله لي، وأعاد النفقة إلى مسطح، وكفر عن يمينه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدا!! قال المفسرون: والآية دالة على فضل أبي بكر فإن الله تعالى امتدحه بقوله: [ولا يأتل أولوا الفضل] وكفى به دليلا على (فضل الصديق) رضي الله عنه وأرضاه [والله غفور رحيم(22)] أي مبالغ في المغفرة والرحمة، مع كمال قدرته على العقاب، ثم تواعد تعالى الذين يرمون العفائف الطاهرات فقال سبحانه: [إن الذين يرمون المحصنات الغافلات] أي يقذفون بالزنى العفيفات، السليمات

الصدور، النقيات القلوب من كل سوء وفاحشة [المؤمنات] أي المتصفات بالإيمان مع طهارة القلب [لعنوا في الدنيا والآخرة] أي طردوا وأبعدوا من رحمة الله في الدنيا والآخرة، قال ابن عباس: هذا اللعن فيمن قذف زوجات النبي ρ إذ ليس له توبة، ومن قذف مؤمنة جعل الله له توبة وقال أبو حمزة: نزلت في مشركي مكة، كانت المرأة إذا خرجت إلى المدينة مهاجرة قذفوها وقالوا: خرجت لتفجر [ولهم عذاب عظيم(23)] أي ولهم مع اللعنة عذاب هائل لا يكاد يوصف، بسبب ما ارتكبوا من إثم وجريمة [يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون(24)] أي وذلك العذاب الشديد في ذلك اليوم الرهيب - يوم القيامة - حين تشهد على الإنسان جوارحه، فتنتطق الألسنة والأيدي والأرجل بما اقترف من سيئ الأعمال [يومئذ يوفهم الله دينهم الحق] أي يوم القيامة ينالهم حسابهم وجزاؤهم العادل من أحكم الحاكمين [ويعلمون أن الله هو الحق المبين(25)] أي ويعلمون حينئذ أن الله هو الإله العادل، الذي لا يظلم أحدا، الظاهر عدله في تشريعه وحكمه.. ثم ذكر تعالى بالدليل القاطع، والبرهان الساطع (براءة عائشة) ونزاهتها، فهي زوجة رسول الله الطيب الطاهر، وقد جرت سنة الله أن يسوق الجنس إلى جنسه، فلو لم تكن عائشة طيبة، لما كانت زوجة لأفضل الخلق ρ ولهذا قال: [الخبيثات للخبِيثين والخبِيثون للخبِيثات، والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات] أي

الخبيثات من النساء للخبِيثين من الرجال، والخبِيثون من الرجال للخبِيثات من النساء، وكذلك الطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء، وهذا كالدليل على براءة عائشة لأنها زوجة أشرف رسول وأكرم مخلوق على الله، وما كان الله ليجعلها زوجة لأحب عباده، لو لم تكن عفيفة طاهرة شريفة [أولئك مبرءون مما يقولون] أي أولئك الفضلاء منزهون مما تقولهُ أهل الإفك في حقهم من الكذب والبهتان [لهم مغفرة ورزق كريم(26)] أي لهم على ما نالهم من الأذى مغفرة لذنوبهم، ورزق كريم في جنات النعيم، قال ابن كثير: وفيه وعد بأن تكون زوجة رسول الله ﷺ في الجنة.

[يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم] لما حذر تعالى من قذف المحصنات، وشدّد العقاب فيه، وكان طريق هذا الاتهام مخالطة الرجال للنساء، ودخولهم عليهن في أوقات الخلوات، أرشد تعالى إلى الآداب الشرعية في دخول البيوت، فأمر بالاستئذان قبل الدخول وبالتسليم بعده [حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها] أي لا تدخلوا بيوت الغير حتى تستأذنوا وتسلموا على أهل المنزل [ذلكم خير لكم] أي ذلك الاستئذان والتسليم خير لكم من الدخول بغتة [لعلكم تذكرون(27)] أي لتتعظوا وتعملوا بموجب هذه الآداب الرشيدة، قال القرطبي: المعنى: إن الاستئذان والتسليم خير لكم من الهجوم بغير

إذن، ومن الدخول على الناس بغتة، ومن تحية الجاهلية، فقد كان الرجل منهم إذا دخل بيتا غير بيته قال: حيايتم صباحا، وحيايتم مساء ودخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف!! روي أن رجلا قال للنبي (ص): أأستأذن على أمي؟ قال: نعم، قال: ليس لها خادم غيري، أأستأذن عليها كلما دخلت؟ قال: أتحب أن تراها عريانة؟ قال: لا، قال: فاستأذن عليها [فإن لم تجدوا فيها أحدا] أي فإن لم تجدوا في البيوت أحدا يأذن لكم بالدخول إليها [فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم] أي فاصبروا ولا تدخلوها حتى يسمح لكم بالدخول، لأن للبيوت حرمة ولا يحل دخولها إلا بإذن أصحابها [وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا] أي وإن لم يؤذن لكم، وطلب منكم الرجوع فارجعوا ولا تلحوا [هو أذكى لكم] أي الرجوع أطهر وأكرم لنفوسكم، وهو خير لكم من اللجاج والانتظار على الأبواب [والله بما تعملون عليم(28)] أي هو تعالى عالم بالخفايا والنوايا وبجميع أعمالكم فيجازيكم عليها، قال القرطبي: وفيه توعده لأهل التجسس على البيوت.. ثم إنه تعالى لما ذكر حكم الدور المسكونة، ذكر بعده حكم الدور غير المسكونة فقال سبحانه: [ليس عليكم جناح] أي ليس عليكم إثم وحرَج [أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة] أي أن تدخلوا بغير استئذان بيوتا لا تختص بسكنى أحد، كالرباطات والفنادق والخانات، قال مجاهد: هي الفنادق التي في طرق السابلة لا يسكنها أحد، بل هي موقوفة ليأوي إليها كل ابن سبيل [فيها

متاع لكم] أي فيها منفعة لكم أو حاجة من الحاجات، كالاستضلال من الحر، وإيواء الأمتعة والرحال [والله يعلم ما تبدون وما تكتمون(29)] أي يعلم ما تظهرون وما تسرون في نفوسكم فيجازيكم عليه، قال ابو السعود: وهذا وعيد لمن يدخل مدخلا لفساد، أو إطلاع على عورات.. ثم أرشد تعالى إلى الآداب الرفيعة من غض البصر، وحفظ الفروج فقال سبحانه: [قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم] أي قل يا أيها الرسول لاتباعدك المؤمنين: يكفوا أبصارهم عن النظر إلى الاجنبيات من غير المحارم، فإن النظرة تزرع في القلب الشهوة، ورب شهوة أورثت حزنا طويلا، كما قال الشاعر: كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتك السهام بلا قوس ولا وتر [ويحفظوا فروجهم] أي يصونوا فروجهم عن الزنى وعن الإبداء والكشف للعورات [ذلك أذكى لهم] أي ذلك الغض والحفظ أطهر للقلوب، وأتقى للدين، وأحفظ من الوقوع في الفجور [إن الله خبير بما يصنعون(30)] أي هو تعالى رقيب عليهم، مطلع على أعمالهم، لا تخفى عليه خافية من أحوالهم، فعليهم أن يتقوا الله في السر والعلن، قال الإمام الفخر: فإن قيل فلم قدم غض الأبصار على حفظ الفروج؟ قلنا: لأن النظر بريد الزنى، ورائد الفجور، والبلوى فيه أشد وأكثر، ولا يكاد يحترس منه [وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن] أي وقل أيضا للمؤمنات يكففن أبصارهن عن النظر إلى ما لا يحل لهن النظر إليه، ويحفظن

فروجهن عن الزنى، وعن كشف العورات، قال المفسرون: أكد تعالى الأمر للمؤمنات بغض البصر وحفظ الفروج، وزادهن في التكليف على الرجال، بالنهي عن إبداء الزينة إلا للمحارم والأقرباء، فقال: [ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها] أي ولا يكشفن زينتهن للأجانب إلا ما ظهر منها بدون قصد ولا نية سيئة، قال ابن كثير: أي لا يظهرن شيئاً من الزينة للأجانب إلا ما لا يمكن إخفاؤه، كما قال ابن مسعود: الزينة زينتان: فزينة لا يراها إلا الزوج: الخاتم والسوار، وزينة يراها الأجانب وهي الظاهر من الثياب وقيل: المراد به الوجه والكفان فإنهما ليسا بعورة، قال البيضاوي: والأظهر أن هذا في الصلاة لا في النظر، فإن كل بدن الحرة عورة، لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر إلى شيء منها إلا لضرورة، كالمعالجة وتحمل الشهادة [وليضربن بخمرهن على جيوبهن] أي وليلقين الخمار وهو (غطاء الرأس) على صدورهن، لئلا يبدو شيء من النحر والصدر، وفي لفظ الضرب مبالغة في الصيانة والتستر، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (يرحم الله النساء المهاجرات الأول لما أنزل الله [وليضربن بخمرهن على جيوبهن] شققن مروطين فاختمرن بها) قال المفسرون: كانت المرأة في الجاهلية - كما هي اليوم في الجاهلية الحديثة - تمر بين الرجال مكشوفة الصدر، بادية النحر، حاسرة الذراعين، وربما أظهرت مفاتن جسمها وذوائب شعرها لتغري الرجال، وكن يسدلن الخمر من ورائهن، فتبقى صدورهن

مكشوفة عارية، فأمرت المؤمنات بأن يلقينها من أمامهن حتى تستر، ويدفعن عنهن شر الأشرار [ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن] أي ولا يظهرن زينتهن الخفية، التي حرم الله كشفها، إلا لأزواجهن [أو آبائهن أو آباء بعولتهن] أي أو لأبائهن أو آباء أزواجهن، وهو العم أبو الزوج فإنهما من المحارم، فإن الأب يصون عرض ابنته، ووالد الزوج يحفظ على ابنه ما يسوؤه، ثم عدد تعالى بقية المحارم فقال سبحانه: [أو أبناءهن أو أبناء بعولتهن، أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن] فذكر تعالى الأبناء، وأبناء الأزواج، والإخوة، وأبناء الإخوة، وأبناء الأخوات، وكلهم من المحارم الذين يحرم على المرأة الزواج بهم، لما جبل الله في الطباع من النفرة من مماسة القريبات ونكاحهن [أو نساءهن] أي المسلمات، وخرج بذلك النساء الكافرات، قال مجاهد: المراد نساؤهن المسلمات، ليس المشركات من نساءهن، وليس يحل للمرأة المسلمة أن تنكشف بين يدي مشركة، وقال ابن عباس: هن المسلمات، ولا تبدي زينتها أمام يهودية أو نصرانية¹ [أو ما ملكت أيمانهن] أي من الإماء المشركات، قال ابن جرير: يعني من نساء المشركين، فيجوز لها أن تظهر

1 الصابوني، محمد على. مختصر تفسير ابن كثير. ج 2. بيروت: دار القرآن الكريم، 2009. ص 601: وهذا قول أكثر السلف أن المراد بالنساء المؤمنات، قال الفخر الرازي: وقيل المراد بالنساء، جميع النساء فإنهن سواء في حل نظر بعضهن إلى بعض، وقول السلف محمول على الاستحباب، أقول: القول الأول اظهر،

زينتها لها، وإن كانت مشرقة لأنها أمتها [أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال] أي الخدام غير أولي الميل والشهوة والحاجة إلى النساء، كالبله والحمقى، والمغفلين الذين لا يدركون من أمور النكاح شيئاً، قال مجاهد: هو الأبله الذي يريد الطعام، ولا يريد النساء، ولا يهيمه إلا بطنه [أو الطفل الذين لم يظهرُوا على عورات النساء] أي الأطفال الصغار الذين لم يبلغوا حد الشهوة، ولا يعرفون أمور الجماع لصغرهم، فلا حرج أن تظهر المرأة زينتها أمامهم [ولا يضرين بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن] أي ولا يضرين بأرجلهن الأرض، لئلا يسمع الرجال صوت الخلخال، فيطمع الذي في قلبه مرض، قال ابن عباس: كانت المرأة تمر بالناس وتضرب برجلها ليعلم صوت خلخالها، فنهى الله تعالى عن ذلك لأنه من عمل الشيطان [وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون(31)] أي ارجعوا أيها المؤمنون إلى ربكم بامثال الطاعات، والكف عن الشهوات، لتنالوا رضاه وتفوزوا بسعادة الدارين [وأنكحوا الأيامى منكم] أي زوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من الرجال والنساء، من أحرار رجالكم ونسائكم، قال الطبري: الأيامى جمع أيم، يوصف به الذكر والأنثى يقال: رجل أيم، وامرأة أيمة، إذا لم يكن لها زوج [والصالحين من عبادكم وإمائكم] أي وأنكحوا كذلك أهل التقى والصلاح، من عبيدكم وجواريتكم، قال البيضاوي: وتخصيص الصالحين لأن إحصان دينهم والاهتمام بشأنهم

أهم، وفيه إشارة إلى مكانة التقى والصلاح في الإنسان [إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله] أي إن يكن هؤلاء الذين تزوجونهم، أهل فاقة وفقر، فلا يمنعكم فقرهم من إنكاحهم، ففي فضل الله ما يغنيهم [والله واسع عليهم(32)] أي واسع الفضل، جواد كريم، يعطي الرزق من يشاء، وهو عليم بمصالح العباد، قال القرطبي: وهذا وعد بالغنى للمتزوجين طلبا لرضى الله، واعتصاما من معاصيه وقال ابن مسعود: التمسوا الغنى في النكاح وتلا هذه الآية وفي الحديث الشريف: (ثلاثة حق على الله عونهم: النكاح يريد العفاف، والمكاتب يريد الأداء، والغازي في سبيل الله) [وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا] أي وليجتهد في العفة وقمع الشهوة، الذين لا تيسر لهم سبل الزواج لأسباب مادية [حتى يغنيهم الله من فضله] أي حتى يوسع الله عليهم، ويسهل لهم أمر الزواج، فإن العبد إذا اتقى الله، جعل الله له من أمره فرجا ومخرجا [والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم] أي والذين يريدون أن يتحرروا من (رق العبودية) بمكاتبة أسيادهم من العبيد والأرقاء [فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا] أي فكاتبوهم على قدر من المال، إن عرفتم منهم الأمانة والديانة، ليصيروا أحرارا [وأتوهم من مال الله الذي آتاكم] أي أعطوهم مما أعطاكم الله من الرزق ليكون لهم عونا على فكك أنفسهم [ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء] أي لا تجبروا إماءكم على الزنى [إن أردن تحصنا] أي إن أردن التعفف عن مقارفة

الفاحشة، وليس هذا للقيود أو الشرط، وإنما هو لبيان فظاعة الأمر وشناعته، فالأصل في المملوكة أن يحصنها سيدها، أما أن يأمرها بالزنى وتمتنع وتريد العفة، فذلك منتهى الخسة والدناءة منه، قال المفسرون: نزلت في (عبد الله بن سلول) المنافق كان له جارتان إحداهما تسمى "مسيكة" والثانية تسمى "أميمة" فكان يأمرهما بالزنى للكسب، ويضربهما على ذلك، فشككتا ذلك إلى رسول الله، فنزلت الآية [لتبتغوا عرض الحياة الدنيا] أي لأجل أن تنالوا حطام هذه الحياة الزائل، وتحصلوا على المال بطريق الفاحشة والرذيلة [ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم(33)] أي ومن يجبرهن على الزنى فإن الله غفور لهن، رحيم بهن، لا يؤاخذهن بالزنى، لأنهن أكرهن عليه، وسينتقم ممن أكرههن أشد انتقام [ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات] أي والله لقد أنزلنا إليكم أيها المؤمنون آيات واضحات، وأحكاما مفصلات [ومثلا من الذين خلوا من قبلكم] وضرينا لكم الأمثال بمن سبقكم من الأمم، لتتعظوا وتعتبروا [وموعظة للمتقين(34)] أي وعظة وذكرى للمتقين، الذين يخافون عذاب الله!

فائدة: قال بعض المحققين: إن (يوسف) لما رمي بالفاحشة برأه الله على لسان صبي في المهد، وإن (مريم) لما رميت بالفاحشة برأها الله على لسان ابنها (عيسى) عليه السلام، وإن (عائشة) لما رميت بالفاحشة

برأها الله في كتابه العزيز، فما رضي الله لها ببراءة صبي، ولا نبي، حتى
برأها الله في القرآن من القذف والبهتان.

تنبيه: السر في تقديم غض البصر على حفظ الفروج [يغضوا من
أبصارهم ويحفظوا فروجهم] هو أن النظر بريد الزنى ورائد الفجور،
وهو مقدمة للوقوع في الخطر، كما قال الشاعر:

وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً اتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه وعلى عن بعضه أنت صابر.

لطيفة: ذكر أن قسيساً أراد أن ينال من المسلمين، بالطعن في أم
المؤمنين السيدة (عائشة) رضي الله عنها، فقال: إن الناس رموها
بالإفك، ولا ندري أهي بريئة أم متهمة؟ فأجابه بعض الحاضرين بقوله:
اسمع يا هذا، هناك امرأتان اتهمتتا بالزنى، وقد برأهما القرآن الكريم،
إحدهما ليس لها زوج وقد جاءت بولد، والأخرى لها زوج ولم يأتها ولد -
يقصد مريم وعائشة - فأيتهما أخرى بالتهمة؟ فخرس القسيس وأسقط
في يده، ولم ينبس ببنت شفة، لقوة الحججة.

قال الله تعالى: [الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها
مصباح..] إلى قوله [فأولئك هم الفائزون]. من آية (35) إلى نهاية آية
(52).

اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي
رُجَاجَةٍ الرُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا
شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي
اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
(35) فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ
وَالْأَصَالِ (36) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ
وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37) لِيَجْزِيَئَهُمُ
اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَزِرُكُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ
حِسَابٍ (38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً
حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ
الْحِسَابِ (39) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ
فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا
وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (40) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ
مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (41) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ
الْمُصِيرُ (42) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا
فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ
فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ
بِالْأَبْصَارِ (43) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ

(44) وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (45) لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (46) وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (47) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (48) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (49) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (50) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (51) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (52)

المناسبة: لما وصف تعالى نفسه بأنه أنزل آيات مبينات، وأقام دلائل واضحات على وحدانيته، واختصاصه بتشريع الأحكام التي بها سعادة المجتمع، عقبه بذكر مثلين: أحدهما في بيان أن دلائل الوجدانية والإيمان في غاية الظهور، والثاني: في بيان أن أديان الكفار في نهاية الظلمة والخفاء، وبالمقارنة بين المثلين، يتضح الصبح لذي عينين.

اللغة: [مشكاة] المشكاة: الكوة في الحائط غير النافذة، وأصلها الوعاء يجعل فيه الشيء [دري] متلألئ وقاد، يشبه الدر في صفائه ولمعانه [سراب] السراب: ما يتراءى للعين وسط النهار عند اشتداد الحر يشبه

الماء الجاري وليس بماء، سمي سراباً لأنه يسرب أي يجري كالماء، قال الشاعر:

فلما كففنا الحرب كانت عهدكم كلمع سراب بالفلا متألق

[قيعة] قال الفراء: هو جمع قاع مثل جار وجيرة، والقاع المنبسط المستوى من الأرض، وقال الزمخشري: القيعة بمعنى القاع وليس جمعا، وهكذا قال ابو عبيدة [لجي] اللجي: الذي لا يدرك قعره لعمقه، واللجة معظم الماء، والجمع لجج، والتج البحر: تلاطمت أمواجه [يزجي] الإجزاء: سوق الشيء برفق وسهولة [ركاما] مجتمعا يركب بعضه بعضا [الودق]: المطر، قال الليث: الودق المطر كله شديده وهينة [سنا]: السنا: الضوء واللمعان قال الشماخ:

وما كادت إذا رفعت سناها ليبصر ضوءها إلا البصير

[مدعنين] خاضعين منقادين، أذعن للأمر خضع له [يخيف] يجور ويظلم.

التفسير: [الله نور السموات والأرض] أي الله جل وعلا منور السموات والأرض، أنار السموات بالكواكب المضيئة، والأرض بالشرائع والأحكام، وبعثة الرسل الكرام، قال الطبري: أي هادي أهل السموات والأرض فهم بنوره إلى الحق يهتدون، ويهداه من حيرة الضلالة يعتصمون وقال

القرطبي: النور عند العرب: الضوء المدرك بالبصر، واستعمل مجازاً في المعاني فيقال كلام له نور، قال الشاعر:

نسب كأن عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا

والناس يقولون: فلان نور البلد، وشمس العصر وقمره، فيجوز أن يقال: الله نور على جهة المدح، لأن جميع الأشياء منه ابتداءً، وعنه صدورها، وبقدرته استقامت أمورها، وقال ابن عطاء الله: "الكون كله ظلمة، أناره ظهور الحق فيه، إذ لولا وجود الله ما وجد شيء من العالم" وفي الحديث الشريف: (اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فمهن) وقال ابن مسعود: "ليس عند ربكم ليل ولا نهار، نور السموات والأرض من نور وجهه" وقال ابن القيم: سعى الله سبحانه نفسه نورا، وجعل كتابه نورا، ورسوله نورا، واحتجب عن خلقه بالنور، وقد فسرت الآية بأنه منور السموات والأرض، وهادي أهل السموات والأرض، وما قاله ابن مسعود أقرب إلى تفسير الآية من قول من فسرها بأنه هادي أهل السموات والأرض، وأما من فسرها بأنه منور السموات والأرض فلا تنافي بينه وبين قول ابن مسعود (أقول: في هذا الضمير {مثل نوره} للمفسرين فيه قولان أحدهما: أنه عائد إلى الله عز وجل، أي مثل هدى الله، ونور الله، في قلب عبده المؤمن، كمصباح في فتحة حائط، ليكون أجمع للضوء، وهذا قول ابن عباس، والثاني: أن الضمير عائد إلى المؤمن، أي مثل نور المؤمن الذي في قلبه كمصباح

وهاج في فتحة حائط، يشعل هذا المصباح بزيت الزيتون الصافي، فهو مثل ضربه الله للمؤمن بدليل قوله تعالى في نهاية الآية الكريمة {ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم} [مثل نوره] أي مثل نور الله سبحانه في قلب عبده المؤمن [كمشكاة فيها مصباح] أي ككوة في الحائط لا منفذ لها ليكون أجمع للضوء، وضع فيها سراج ثاقب ساطع، قال في التسهيل: المعنى صفة نور الله في وضوحه، كصفة مشكاة - أي فتحة - فيها مصباح على أعظم ما يتصوره البشر، من الإضاءة والإنارة، وإنما شبه بالمشكاة - وإن كان نور الله أعظم - لأن ذلك هو ما يدركه الناس من الأنوار، ضرب لهم به المثل [المصباح في زجاجة] أي في قنديل من الزجاج الصافي [الزجاجة كأنها كوكب دري] أي تشبه الكوكب الدرّي في صفائها وحسنها [يوقد من شجرة مباركة] أي يشعل ذلك المصباح من زيت شجرة مباركة [زيتونة] أي هي من شجر الزيتون الذي خصه الله بمنافع عديدة [لا شرقية ولا غربية] أي ليست في جهة الشرق، ولا في جهة الغرب، وإنما هي في صحراء منكشفة، تصيبها الشمس طول النهار، لتكون ثمرتها أنضج، وزيتها أصفى، قال ابن عباس: هي شجرة بالصحراء لا يظلمها شجر، ولا جبل، ولا كهف، ولا يواربها شيء وهو أجود لزيتهما [يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار] مبالغة في وصف صفاء الزيت وحسنه وجودته، أي يكاد زيت هذه الزيتون، يضيء من صفائه وحسن ضيائه، ولو لم تمسه

نار، فكيف إذا مسته النار؟ [نور على نور] أي نور فوق نور، فقد اجتمع (نور السراج)، و(حسن الزجاجاة)، (صفاء الزيت)، فاكتمل النور الممثل به [يهدي الله لنوره من يشاء] أي يوفق الله لاتباع نوره - وهو القرآن - من يشاء من عباده [ويضرب الله الأمثال للناس] أي يبين لهم الأمثال تقريبا لأفهامهم، ليعتبروا ويتعظوا بما فيها من الأسرار والحكم [والله بكل شيء عليم(35)] أي هو سبحانه واسع العلم، لا يخفى عليه شيء من أمر الخلق، وفيه وعد ووعد، قال الطبري: ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به، فقال: مثل نور الله الذي أنار به لعباده سبيل الرشاد، مثل كوة في الحائط، لا منفذ لها، فيها مصباح أي سراج، وجعل السراج مثلاً لما في قلب المؤمن من القرآن والآيات البينات ثم قال: [المصباح في زجاجة] وذلك مثل للقرآن في قلب المؤمن الذي أنار الله صدره، فخلص من الكفر والشك، ثم قال: [الزجاجة كأنها كوكب دري] أي كأن الزجاجاة في صفائها وضيائها، كوكب يشبه الدر في الصفاء والضيء والحسن [يوقد من شجرة مباركة لا شرقية ولا غربية] أي توقد هذا المصباح من دهن شجرة مباركة، هي (شجرة الزيتون) ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالعشي دون الغداة، وإنما هي في سهل فسيح، تصيبها الشمس طول النهار، فيكون زيتها أجود وأصفى وأضوأ [يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار] أي يكاد زيت هذه الزيتون يضيء من صفائه وحسن ضيائه، وعنى بها

أن حجج الله على خلقه تكاد من بيانها ووضوحها تضيء لمن فكر فيها ونظر، ولو لم يزدها الله بياناً ووضوحاً بنزول هذا القرآن، فكيف وقد نهيهم به وذكرهم بآياته فزادهم به حجة! وذلك بيان من الله ونور على البيان. ثم لما ذكر تعالى هدايته لمن يشاء من عباده، ذكر مواطن هذه العبادة وهي المساجد أحب البقاع إلى الله فقال: [في بيوت أذن الله أن ترفع] أي أمر تعالى أن تبني وتشاد على اسمه خاصة، وأن تعظم ويرفع شأنها، لتكون منارات للهدى، ومراكز للإشعاع الروحي، قال ابن عباس: المساجد بيوت الله في الأرض، تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض [ويذكر فيها اسمه] أي يعبد فيها الله بتوحيده، وذكره، وتلاوة آياته [يسبح له فيها بالغدو والآصال(36)] أي يصلي لله تعالى في هذه المساجد، في الصباح والمساء المؤمنون، قال ابن عباس: كل تسبيح في القرآن فهو صلاة [رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله] أي لا تشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها عن ذكر ربهم، ولا يلهيهم البيع والشراء عن طاعة الله، قال المفسرون: نزلت هذه الآية في أهل الأسواق من الصحابة رضوان الله عليهم، كانوا إذا سمعوا النداء، تركوا كل شغل وبادروا لطاعة الله [وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة] أي ولا تشغلهم الدنيا عن إقامة الصلاة في أوقاتها، ودفع الزكاة للفقراء والمستحقين، بحدودها وشروطها [يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار(37)] أي يخافون يوماً رهيباً، تضطرب من شدة هوله وفزعه قلوب الناس

وأبصارهم [ليجزئهم الله أحسن ما عملوا] أي ليكافئهم الله على أعمالهم في الدنيا بأحسن الجزاء، ويجزيهم على الإحسان إحساناً، وعلى الإساءة عفواً وغفراناً [ويزيدهم من فضله] أي يتفضل عليهم فوق ذلك الجزاء، بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر [والله يرزق من يشاء بغير حساب(38)] أي يعطي من شاء من خلقه، عطاءً واسعاً بدون حد ولا عد، يقال: فلان ينفق بغير حساب أي يوسع كأنه لا يحسب ما ينفقه! نبه تعالى في هذه الآية، على كمال قدرته، وكمال جوده، وسعة إحسانه، فإنه سبحانه يعطيهم الثواب العظيم على طاعتهم، ويزيدهم الفضل الذي لا حد له في مقابلة خوفهم.. ولما ذكر تعالى حال المؤمن وسعادته، ذكر حال الكافر وخسارته، وضرب لذلك مثلين: الأول لعمله، والثاني لاعتقاده الخبيث، وتخبطه في الظلمات فقال سبحانه: [والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة] أي إن أعمال الكفار التي عملوها في الدنيا، وظنوها أعمالاً صالحة نافعة لهم في الآخرة، كالسراب الذي يرى في الفلوات من ضوء الشمس وقت الظهيرة، حتى يظهر كأنه ماء يجري على وجه الأرض [يحسبه الظمآن ماء] أي يظنه العطشان من بعيد ماء جارياً [حتى إذا جاءه] أي حتى إذا وصل إليه [لم يجده شيئاً] أي لم ير ماء ولا شراباً، وإنما رأى سراباً، فعظمت حسرته، وزاد بلاؤه [ووجد الله عنده فوفاه حسابه] أي وجد الله له بالمرصاد، فوفاه جزاء عمله، فكذلك الكافر

يحسب أن عمله ينفعه، حتى إذا مات وقدم على ربه، لم يجد شيئاً من الأعمال، لأنها ذهبت هباء منثوراً [والله سريع الحساب (39)] أي حسابه لخلق سريع، لا يحتاج إلى طول زمانه، لأنه لا يشغله محاسبة واحد عن آخر [أو كظلمات في بحر لحي] هذا المثل الثاني لضلال الكفار، والمعنى: أو مثلهم كظلمات متكاثفة، في بحر عميق لا يدرك قعره [يغشاه موج من فوقه موج] أي يغطي ذلك البحر ويعلوه موج متلاطم بعضه فوق بعض [من فوقه سحب] أي من فوق ذلك الموج الثاني سحب كثيف [ظلمات بعضها فوق بعض] أي هي ظلمات متكاثفة متراكمة بعضها فوق بعض، قال قتادة: الكافر يتقلب في خمس من الظلم: فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة إلى نار جهنم [إذا أخرج يده لم يكذب يراها] هذا من تنمة التمثيل، أي إذا أخرج ذلك الإنسان الواقع في هذه الظلمات يده، لم يقارب رؤيتها، فإن "ظلمة البحر، و"ظلمة الموج"، و"ظلمة السحاب" قد تكاثفت حتى حجبت عنه رؤية أقرب شيء إليه، من شدة الظلمة، فكذلك شأن الكافر يتخبط في ظلمات الكفر والضلال [ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور (40)] أي ومن لم يهده الله للإيمان، وينور قلبه بنور الإسلام، لم يهتد أبد الدهر! ذكر تعالى لعمل الكافر مثالين: الأول لعمله الصالح، ومثل له بالسراب الخادع، والثاني لاعتقاده السيء ومثل له

بالظلمات، المتراكم بعضها فوق بعض، ثم ختم الآية الكريمة ذلك الختام الرائع بقوله: [ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور] مقابل قوله في المؤمن [نور على نور] فكان هذا التمثيل والبيان في غاية الحسن والجمال، فله ما أروع تعبير القرآن! ولما وصف سبحانه أنوار المؤمنين، وظلمات قلوب الجاهلين، أتبع ذلك بدلائل التوحيد فقال تعالى: [ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض] أي ألم تعلم يا أيها المخاطب، علما يقينيا كأنه مشاهد بالعين، أن الله العظيم الكبير، يسبح له كل من في الكون من ملك، وإنس، وجن، ينزهه ويقدمه ساكنوها؟ [والطير صافات] أي والطير باسطات أجنحتهم حال الطيران، تسبح ربهما وتعبده كذلك، بتسبيح ألهمها وأرشدنا إليه تعالى [كل قد علم صلواته وتسبيحه] أي كل من الملائكة والإنس والجن والطير، قد أرشد وهدى إلى طريقته ومسلكه في عبادة الله، وما كلف به من الصلاة والتسبيح [والله عليم بما يفعلون(41)] أي لا تخفى عليه طاعتهم ولا تسبيحهم [ولله ملك السموات والأرض] أي هو المالك والمتصرف في الكون، وجميع المخلوقات تحت ملكه، يتصرف فيهم تصرف القاهر الغالب [وإلى الله المصير(42)] أي وإليه مرجع الخلائق فيجازيهم على أعمالهم، وهو تذكير يتضمن الوعيد! ثم أشار تعالى إلى ظاهرة كونية تدل على قدرته ووحدانيته فقال سبحانه: [ألم تر أن الله يزجي سحابا] أي يسوق بقدرته السحاب إلى حيث يشاء [ثم يؤلف

بينه] أي يجمعه بعد تفرقه [ثم يجعله ركاما] أي يجعله كثيفا متراكما بعضه فوق بعض [فترى الودق يخرج من خلاله] أي فتري المطر يخرج من بين السحاب الكثيف [وينزل من السماء من جبال فيها من برد] أي وينزل من السحاب الذي هو كأمثال الجبال بردا [فيصيب به من يشاء] أي فيصيب بذلك البرد من شاء من العباد، فيضره في زرعه وثمرته وماشيته [ويصرفه عنم يشاء] أي ويدفعه عنم يشاء فلا يضره، قال الصاوي: كما ينزل المطر من السماء وهو نفع للعباد، كذلك ينزل منها البرد وهو ضرر للعباد، فسبحان من جعل السماء منشأ للخير والشر [يكاد سنا برقه] أي يقرب ضوء برق السحاب [يذهب بالأبصار(43)] أي أن يخطف أبصار الناظرين، من شدة إضاءته وقوة لمعانه [يقلب الله الليل والنهار] أي يتصرف فيهما بالطول والقصر، والظلمة والنور، والحر والبرد [إن في ذلك لعبرة] أي إن فيما تقدم ذكره لدلالة واضحة، وعظة بليغة على وجود الصانع المبدع [الأولي الأبصار(44)] أي لذوي البصائر المستنيرة، وخصهم بالذكر لأنهم المنتفعون، حيث يتأملون فيجدون الماء والبرد، والظلمة والنور تخرج من شيء واحد، فسبحان القادر على كل شيء [والله خلق كل دابة من ماء] استدل سبحانه على وحدانيته، بتسبيح أهل السماء والأرض له، ثم بتصريف السحاب وإنزال المطر، ثم بأحوال الحيوانات، قال ابن كثير: يذكر تعالى قدرته التامة وسلطانة العظيم،

في خلقه أنواع المخلوقات على اختلاف أشكالها وألوانها وحركاتها وسكناتها من ماء واحد [فمنهم من يمشي على بطنه] أي فمنهم من يزحف على بطنه كالحية والزواحف [ومنهم من يمشي على رجلين] كالإنسان والطيور [ومنهم من يمشي على أربع] كالأنعام وسائر الدواب، قال ابو حيان: قدم ما هو أظهر في القدرة وأعجب، وهو الماشي بغير آلة من رجل وقوائم، ثم الماشي على رجلين، ثم الماشي على أربع [يخلق الله ما يشاء] أي يخلق تعالى بقدرته ما شاء من المخلوقات [إن الله على كل شيء قدير(45)] أي هو قادر على ما يشاء، لا يمنعه مانع، ولا يدفعه دافع، قال الفخر: واعلم أن العقول قاصرة عن الإحاطة بأحوال أصغر الحيوانات على الكمال، والاستدلال بها على الصانع ظاهر، لأنه لو كان الأمر بتركيب الطبائع الأربع، لكان في الكل على السوية، فاختصاص كل واحد من هذه الحيوانات، بأعضائها وأعمارها ومقادير أبدانها، لا بد وأن يكون بتدبير قاهر حكيم، سبحانه وتعالى عما يقول الجاحدون [لقد أنزلنا آيات بينات] أي لقد أنزلنا إليكم أيها الناس آيات واضحة، دالات على طريق الحق والرشاد [والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم(46)] أي يرشد من يشاء من خلقه إلى الدين الحق، وهو (الإسلام) ولما ذكر دلائل التوحيد حذر من النفاق والمنافقين فقال سبحانه [ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا] أي يقول المنافقون: صدقنا بالله وبالرسول، وأطعنا الله ورسوله [ثم يتولى

فريق منهم] أي لم يعرض جماعة منهم عن قبول حكمه [من بعد ذلك] أي من بعد ما صدر، منهم ما صدر من دعوى الإيمان والطاعة [وما أولئك بالمؤمنين(47)] أي وليس أولئك الذين يدعون الإيمان والطاعة، بمؤمنين على الحقيقة! قال الحسن: نزلت هذه الآية في المنافقين الذين كانوا يظهرون الإيمان ويسرون الكفر [وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم] أي وإذا دعوا إلى حكم الله أو حكم رسوله [إذا فريق منهم معرضون(48)] أي استنكفوا وأعرضوا عن الحضور إلى مجلس الرسول [وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين(49)] أي وإن كان الحق بجانبهم جاءوا إلى رسول الله طائعين منقادين، لعلمهم أنه عليه السلام يحكم بالحق، نبه تعالى على أنهم إنما يعرضون، متى عرفوا أن الحق لغيرهم؟ أما إذا عرفوه لأنفسهم، عدلوا عن الإعراض، وأذعنوا ببذل الرضا والقبول [أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا] أي هل في قلوبهم نفاق؟ أم شكوا في نبوته عليه السلام؟ [أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله] أي أم يخافون أن يظلمهم رسول الله في الحكم، والاستفهام للمبالغة في التوبيخ والذم، كقول الشاعر: أَلست من القوم الذين تعاهدوا على اللؤم والفحشاء في سالف الدهر؟ [بل أولئك هم الظالمون(50)] أي بل هم الكاملون في الظلم والعناد لإعراضهم عن حكم رسول الله [إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا] أي كان الواجب

عليهم عندما يدعون إلى رسول الله، للفصل بينهم وبين خصومهم، أن يسرعوا ويقولوا: سمعا وطاعة، فلو كان هؤلاء مؤمنين لفعلوا ذلك، قال الطبري: ولم يقصد به الخبر ولكنه تأنيب من الله للمنافقين، وتأديب منه لآخرين [وأولئك هم المفلحون(51)] أي وأولئك المسارعون إلى مرضاة الله، هم الفائزون بسعادة الدارين [ومن يطع الله ورسوله] أي ومن يطع أمر الله وأمر رسوله في كل فعل وعمل [ويخش الله ويتقه] أي ويخاف الله تعالى لما فرط منه من الذنوب، ويمثل أوامره ويجتنب زواجه [فأولئك هم الفائزون(52)] أي هم السعداء الناجون من عذاب الله، الفائزون برضوانه. ذكر أن بعض بطارقة الروم سمع هذه الآية فأسلم وقال: إنها جمعت كل ما في التوراة والإنجيل من مواعظ وروائع.

لطيفة: سمع بعض علماء الطبيعة من غير المسلمين هذه الآية [أو كظلمات في بحر لحي يغشاه موج..] الآية فسأل هل ركب محمد البحر؟ فقالوا: لا، فقال: أشهد أنه رسول الله، قالوا: وكيف عرفت؟ فقال: إن هذا الوصف للبحر، لا يعرفه إلا من عاش عمره في البحار ورأى الأهوال والأخطار، فلما أخبرت أنه لم يركب البحر عرفت أنه كلام الله تعالى.

قال الله تعالى: [و أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن..] إلى قوله [والله بكل شيء عليم]. من آية (53) إلى آية (64) نهاية السورة الكريمة.

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُفْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (53) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (54) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (56) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا أُوْاهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ (57) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (58) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (59) وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي

لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (60) لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (61) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (62) لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ لِيُؤْذِنُوا الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (63) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (64)

المناسبة:

لما ذكر تعالى المنافقين وما هم عليه من صفات قبيحة، أعقبه بذكر ما

انطوت عليه نفوسهم من المكر والاحتيال، والحلف الكاذب بأغلظ الأيمان، وختم السورة الكريمة بالتحذير من سلوك طريق المنافقين.

اللغة: [الحلم]: الاحتلام في المنام، قال في القاموس: الحلم: الرؤيا جمعه أحلام، والحلم والاحتلام: الجماع في النوم وقال الراغب: هو زمان البلوغ سمي به لكون صاحبه جديرا بالحلم أي الأناة وضبط النفس [القواعد] جمع قاعد بغير تاء لأنه خاص بالنساء، كحائض وطامث وهي المرأة التي قعدت عن الزواج وعن الولد [أشتاتا] متفرقين جمع شت وهو الافتراق، والشتات: الفرقة [يتسللون] التسلل: الخروج خفية يقال: انسل وتسلل إذا خرج مستترا بطريق الخفية [لواذا] اللواذ: أن يستتر بشيء مخافة أن يراه أحد.

سبب النزول: روي أن رسول الله ﷺ بعث غلاما من الأنصار يقال له: (مدلج) إلى عمر بن الخطاب وقت الظهر ليدعوه فوجده نائما، فدق عليه الغلام الباب ودخل، فاستيقظ عمر وجلس فانكشف منه شيء، فقال: وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا عن الدخول في هذه الساعات إلا بإذن، ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ فوجد الآية قد أنزلت [يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم..] فخر ساجدا شكرا لله تعالى.

التفسير: [وأقسموا بالله جهد أيمانهم] أي حلف المنافقون أغلظ الإيمان وأكدها [لئن أمرتهم ليخرجن] أي لئن أمرتهم بالخروج إلى

الجهاد ليخرجن معك، قال مقاتل: لما بين الله إعراض المنافقين وامتناعهم عن قبول حكمه عليه السلام أتوه فقالوا: لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا، وإن أمرتنا بالجهاد لجاهدنا فنزلت [قل لا تقسموا] أي لا تحلفوا فإن أيمانكم كاذبة [طاعة معروفة] أي طاعتكم لله ورسوله معروفة، فإنها باللسان دون القلب، وبالقول دون العمل [إن الله خير بما تعملون(53)] أي بصير لا يخفى عليه شيء من خفاياكم ونواياكم [قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول] أي أطيعوا الله بإخلاص النية وترك النفاق، وأطيعوا الرسول بالاستجابة لأمره والتمسك بهديه [فإن تولوا] أي فإن تولوا وتعرضوا عن طاعته [فإنما عليه ما حمل] أي على الرسول ما كلف به من تبليغ الرسالة [وعليكم ما حملتم] أي وعليكم ما كلفتم به من السمع والطاعة، واتباع أمره عليه السلام [وإن تطيعوه تهتدوا] أي وإن أطعتم أمره، فقد اهتديتم إلى طريق السعادة والفلاح [وما على الرسول إلا البلاغ المبين(54)] أي ليس عليه إلا التبليغ الواضح للأمة، ولا ضرر عليه إن خالفتم وعصيتهم، فإنه قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة [وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات] أي وعد الله المؤمنين المخلصين الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح [ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم] أي وعدهم بميراث الأرض، وأن يجعلهم فيها خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك في ممالكهم، كما

استخلف المؤمنين قبلهم فملكهم ديار الكفار، قال المفسرون: لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة رمتهم العرب عن قوس واحدة، فكانوا لا يبيتون إلا في السلاح، ولا يصبحون إلا في لأمتهم - أي سلاحهم - فقالوا أترون أنا نعيش حتى نبیت آمنين مطمئنين؟ لا نخاف إلا الله عز وجل! فنزلت الآية، وهذا وعد ظهر صدقه بفتح مشارق الأرض ومغارها لهذه الأمة، وفي الحديث بشارة كذلك فقد قال ﷺ: "إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغارها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها" [وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم] أي وليجعلن دينهم - الإسلام - الذي ارتضاه لهم عزيزا مكينا عاليا على كل الأديان [وليبذلهم من بعد خوفهم أمنا] أي وليغيرن حالهم التي كانوا عليها من الخوف والفرع، إلى الأمن والاستقرار، كقوله سبحانه: [وآمنهم من خوف] [يعبدونني لا يشركون بي شيئا] استئناف بطريق الثناء عليهم كالتعليل للإستخلاف في الأرض، أي يوحدونني ويخلصون لي العبادة، لا يعبدون إلها غيري [ومن كفر بعد ذلك] أي فمن جحد شكر هذه النعم [فأولئك هم الفاسقون(55)] هم الخارجون عن طاعة الله، العاصون أمر الله، قال ابو العالية: أي من كفر بهذه النعمة وليس يعني الكفر بالله، قال الطبري: وهو أشبه بتأويل الآية لأن الله وعد الإنعام على هذه الأمة بما أخبر في هذه الآية بأنه منعم به عليهم ثم قال: [ومن كفر] أي كفر هذه النعمة [فأولئك هم الفاسقون] [وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة] أي

أقيموا أيها المؤمنون الصلاة، وأدوا الزكاة على الوجه الأكمل الذي يرضي الله [وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون(56)] أي أطيعوا الرسول في سائر ما أمركم به رجاء الرحمة [لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض] تسلية للنبي ρ ووعده بالنصرة، أي لا تظنن يا محمد الكافرين الذين عاندوك وكذبوك، معجزين لله في هذه الحياة، بل الله قادر عليهم في كل حين وأن [ومأواهم النار] أي مرجعهم نار جهنم [وللبئس المصير(57)] أي بئس المرجع والمآل الذي يصيرون إليه [يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم] أي يا أيها المؤمنون الذين صدقوا الله ورسوله، وأيقنوا بشريعة الإسلام نظاما وحكما ومنهاجا، ليستأذنكم في الدخول عليكم العبيد والإماء الذين تملكونهم ملك اليمين [والذين لم يبلغوا الحلم منكم] أي والأطفال الذين لم يبلغوا مبلغ الرجال الأحرار ليستأذنوا أيضا [ثلاث مرات] أي في ثلاثة أوقات [من قبل صلاة الفجر] أي في الليل وقت نومكم وخلودكم إلى الراحة [وحيث تضعون ثيابكم من الظهر] أي وقت الظهر حين تخلعون ثيابكم للقيام للليل [ومن بعد صلاة العشاء] أي ووقت إرادتكم النوم واستعدادكم له [ثلاث عورات لكم] أي هي ثلاثة أوقات يختل فيها تستركم، العورات فيها بادية، والتكشف فيها غالب، فعلموا عبيدكم وخدمكم وصبيانكم، ألا يدخلوا عليكم في هذه الأوقات إلا بعد الاستئذان [ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن] أي

ليس عليكم ولا على المماليك والصبيان حرج في الدخول عليكم بغير استئذان بعد هذه الأوقات الثلاثة [طوافون عليكم بعضكم على بعض] أي لأنهم خدمكم يطوفون عليكم للخدمة، يمضون ويجيئون ويدخلون عليكم في المنازل، غدوة وعشية بغير إذن إلا في تلك الأوقات [كذلك يبين الله لكم الآيات] أي مثل ذلك التوضيح والبيان، يبين الله لكم الأحكام الشرعية لتتأدبوا بها [والله عليم حكيم(58)] أي عالم بأمور خلقه، حكيم في تديبه لهم [وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم] أي وإذا بلغ هؤلاء الأطفال الصغار مبلغ الرجال، وأصبحوا في سن التكليف [فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم] أي فعلموهم الأدب السامي، أن يستأذنوا في كل الأوقات، كما يستأذن الرجال البالغون [كذلك يبين الله لكم آياته] أي يفصل لكم أمور الشريعة والدين [والله عليم حكيم(59)] أي عليم بخلقه حكيم في تشريعه، قال البيضاوي: كرره تأكيدا ومبالغة في الأمر بالاستئذان [والقواعد من النساء] أي والنساء العجائز اللواتي قعدن عن التصرف، وطلب الزواج لكبر سنهن [اللاتي لا يرجون نكاحا] أي لا يطمعن في الزواج ولا يرغبن فيه، لانعدام دوافع الشهوة فيهن [فليس علمهن جناح أن يضعن ثيابهن] أي لا حرج ولا إثم علمهن في أن يضعن بعض ثيابهن، كالرداء والجلباب، ويظهرن أمام الرجال بملابسهن المعتادة التي لا تلفت انتباهها، ولا تثير شهوة [غير متبرجات بزينة] أي غير متظاهرات

بالزينة لينظر إليهن، قال ابو حيان: وحقيقة التبرج إظهار ما يجب إخفاؤه، ورب عجوز شمطاء يبدو منها الحرص على أن يظهر بها جمال [وأن يستعففن خير لهن] أي وأن يستترن بارتداء الجلباب ولبس الثياب، كما تلبسه الشابات من النساء، مبالغة في التستر والتعفف، خير لهن وأكرم، وأزكى عند الله وأطهر [والله سميع عليم(60)] أي يعلم خفايا النفوس ويجازي كل إنسان بعمله، وفيه وعد وتحذير [ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج] أي ليس على أهل الأعذار (الأعمى، والأعرج، والمريض) حرج ولا إثم في القعود عن الغزو، لضعفهم وعجزهم [ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم] أي وليس عليكم أيها الناس إثم أن تأكلوا من بيوت أزواجكم وعيالكم، قال البيضاوي: فيدخل فيها بيوت الأولاد لأن بيت الولد كبيتة لقوله عليه السلام: إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه، وإن ولده من كسبه [أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم، أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم] أي لا حرج في الأكل من بيوت هؤلاء الأقارب قال الرازي: والظاهر أن إباحة الأكل لا تتوقف على الاستئذان لأن العادة أن هؤلاء القوم تطيب أنفسهم بأكل الأقارب [أو ما ملكتم مفاتحه] أي البيوت التي توكلون عليها وتملكون مفاتيحها في غياب أهلها، قالت عائشة: كان المسلمون يذهبون مع رسول الله في الغزو ويدفعون

مفاتحهم إلى ضمنائهم ويقولون: قد أحللنا لكم الأكل منها، فكانوا يقولون: إنه لا يحل لنا أن نأكل، إنهم أذنوا لنا عن غير طيب أنفسهم، وإنما نحن أمناء فأنزل الله [أو ما ملكتم مفاتحه] [أو صديقكم] أي أو بيوت أصدقائكم وأصحابكم، قال قتادة: إذا دخلت بيت صديقك فلا بأس أن تأكل بغير إذنه [ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا] أي ليس عليكم إثم أو حرج أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين، قال المفسرون: نزلت في حي من كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده، يمكث يومه فإن لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئا، وربما كانت معه الإبل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه، فأخبرهم تعالى بأن الرجل إذا أكل وحده لا حرج عليه [فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم] أي إذا دخلتم بيوتا مسكونة، فسلموا على من فيها من الناس [تحية من عند الله مباركة طيبة] أي حيّوهم بتحية الإسلام " السلام عليكم " وهي التحية المباركة الطيبة التي شرعها الله لعباده المؤمنين، قال القرطبي: وصفها بالبركة لأن فيها الدعاء واستجلاب المودة، ووصفها بالطيب لأن سامعها يستطيعها [كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون(61)] قال ابن كثير: لما ذكر تعالى في هذه السورة الكريمة من الأحكام المحكمة، والشرائع المبرمة، نبه عباده على أنه يبين لهم الآيات بيانا شافيا ليتدبروها ويتعللوها لعلهم يعقلون [إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله] أي إنما المؤمنون الكاملون في

الإيمان، الذين صدقوا الله ورسوله تصديقا جازما لا يخالجه شك [وإذا كانوا معه على أمر جامع] أي وإذا كانوا مع الرسول في أمر هام، فيه مصلحة للمسلمين [لم يذهبوا حتى يستأذنوه] أي لم يتركوا مجلسه حتى يستأذنوه فيأذن لهم، قال المفسرون: نزلت هذه الآية في وقت حفر الخندق، فإن بعض المؤمنين كانوا يستأذنون في الانصراف لضرورة، وكان المنافقون يذهبون بغير استئذان، فنزلت تمدح المؤمنين الخالصين، وتعرض بدم المنافقين [إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله] هذا تأكيد لما تقدم ذكره تفخيما وتعظيما لشأن الرسول، أي إن الذين يستأذنونك يا أيها الرسول أولئك هم المؤمنون حقا، قال البيضاوي: أعاده مؤكدا على أسلوب أبلغ، فإن جعل المستأذنين هم المؤمنون، عكس الأسلوب الأول، وفيه تأكيد للأول بذكر لفظ الله ورسوله، فيكون مصداقا ودليلا على صحة الإيمان [فإذا استأذنوك لبعض شأنهم] أي فإذا استأذنتك هؤلاء المؤمنون لبعض شؤونهم ومهامهم [فأذن لمن شئت منهم] أي فإسمح لمن أحببت بالانصراف إن كان فيه حكمة ومصلحة [واستغفر لهم الله] أي وأدع الله لهم بالعفو والمغفرة، فإن الاستئذان ولو لعذر قصور، لأنه تقديم لأمر الدنيا على أمر الدين [إن الله غفور رحيم(62)] أي عظيم العفو واسع الرحمة [لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا] أي لا تنادوا الرسول باسمه كما ينادي

بعضكم بعضا باسمه، بل قولوا: يا نبي الله، ويا رسول الله، تفخيما لمقامه وتعظيما لشانه! قال ابو حيان: لما كان التداعي بالأسماء على عادة البداوة أمروا بتوقير رسول الله ﷺ ودعائه بأحسن ما يدعى به، نحو يا رسول الله، يا نبي الله، ألا ترى إلى بعض جفاة من أسلم كان يقول يا محمد فنهوا عن ذلك قال قتادة: أمرهم تعالى أن يفخموه ويشرفوه [قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو اذا] أي قد علم الله الذين ينسلون قليلا قليلا، ويخرجون من الجماعة في خفية، يستتر بعضهم ببعض، قال الطبري: واللواذ هو أن يلوذ القوم بعضهم ببعض، يستتر هذا بهذا وهذا بهذا [فليحذر الذين يخالفون عن أمره] أي فليخف الذين يخالفون أمر الرسول ويتركون سبيله ومنهجه وسنته [أن تصيهم فتنة أو يصيهم عذاب أليم(63)] أي تنزل بهم محنة عظيمة في الدنيا، أو ينالهم عذاب شديد في الآخرة [ألا إن الله ما في السموات والأرض] أي له جل وعلا ما في الكون ملكا وخالقا وعبيدا [قد يعلم ما أنتم عليه] أي قد علم ما في نفوسكم من الإيمان أو النفاق، والإخلاص أو الرياء [ويوم يرجعون إليه فينبتهم بما عملوا] أي ويوم القيامة يرجعون إليه فيخبرهم بما فعلوا في الدنيا، من صغير وكبير، وجيل وحقير، ويجازي كلا بعمله [والله بكل شيء عليم(64)] أي لا يخفى عليه خافية، لأن الكل خلقه وملكه، وهم في قبضته وسلطانه، لا تخفى عليه أعمالهم وأحوالهم.

فائدة: قال بعض السلف: من أمر السنة على نفسه، قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة، لقوله تعالى: [وإن تطيعوه تهتدوا].

لطيفة: قيل لبعضهم: من أحب إليك أخوك أم صديقك؟ فقال: لا أحب أخي إذا لم يكن صديقي! وقال ابن عباس: "الصديق أؤكد من القريب ألا ترى استغاثة الجهنميين حين قالوا: [فما لنا من شافعين ولا صديق حميم] ولم يستغيثوا بالأباء والأمهات".

كِتَابُ الْعِلْمِ

(صحيح البخاري: محمد بن اسماعيل البخاري)¹

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 بَابُ فَضْلِ الْعِلْمِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى {يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ {رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا}

2 بَابُ مَنْ سَأَلَ عِلْمًا وَهُوَ مُشْتَغِلٌ فِي حَدِيثِهِ فَاتَمَّ الْحَدِيثَ ثُمَّ أَجَابَ السَّائِلَ

59 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ قَالَ حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ ح وَحَدَّثَنِي إِبرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ حَدَّثَنِي هَلَالُ بْنُ عَلِيٍّ

¹ المنهج المعين: كتاب العلم من صحيح البخاري. ولمطالعة كتاب فتح الباري لابن حجر العسقلاني يمكن تنزيله من العنوان التالي (فتح الباري. ج1. ص 252-402).

https://ia801303.us.archive.org/3/items/FP2021/01_2022.pdf

ولشرح قصير يرجى البحث في كتاب التوشيح شرح الجامع الصحيح، للحافظ جلال الدين السيوطي. (ص 233-302)، والعنوان لتنزيل الكتاب: <https://archive.org/details/FP36067/mode/2up>

عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ مَتَى السَّاعَةُ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ سَمِعَ مَا قَالَ فَكَّرَهُ مَا قَالَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ لَمْ يَسْمَعْ حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ أَيْنَ أَرَاهُ السَّائِلَ عَنِ السَّاعَةِ قَالَ هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَإِذَا ضَيَّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا قَالَ إِذَا وَسَدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ

3 باب مَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْعِلْمِ

60 - حَدَّثَنَا أَبُو التُّعْمَانِ عَارِمُ بْنُ الْفَضْلِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ أَبِي بَشِيرٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ مَاهَكَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ تَخَلَّفَ عَنَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرَةٍ سَافَرْنَاهَا فَأَدْرَكْنَا وَقَدْ أَرْهَقْتَنَا الصَّلَاةَ وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا فَتَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ وَيَلُّ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا

4 باب قَوْلِ الْمُحَدِّثِ حَدَّثَنَا أَوْ أَخْبَرْنَا وَأَنْبَأْنَا

وَقَالَ لَنَا الْحُمَيْدِيُّ كَانَ عِنْدَ ابْنِ عُيَيْنَةَ حَدَّثَنَا وَأَخْبَرْنَا وَأَنْبَأْنَا وَسَمِعْتُ وَاجِدًا وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمُصَدِّقُ وَقَالَ شَقِيقٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَةً وَقَالَ حُدَيْفَةُ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَيْنِ وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرُوي عَنْ رَبِّهِ وَقَالَ أَنَسٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرُويهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرُويهِ عَنْ رَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ

61 - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ حَدَّثُونِي مَا هِيَ فَوْقَ النَّاسِ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا حَدَّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هِيَ النَّخْلَةُ

5 بَاب طَرَحِ الْإِمَامِ الْمَسْأَلَةَ عَلَى أَصْحَابِهِ لِيُخْتَبَرَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ

62 - حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ حَدَّثُونِي مَا هِيَ قَالَ فَوْقَ النَّاسِ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَوْقَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ ثُمَّ قَالُوا حَدَّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هِيَ النَّخْلَةُ

6 بَاب مَا جَاءَ فِي الْعِلْمِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا}

الْقِرَاءَةُ وَالْعَرْضُ عَلَى الْمُحَدِّثِ وَرَأَى الْحَسَنُ وَالتَّوْرِي وَمَالِكُ الْقِرَاءَةَ
جَائِزَةً وَاحْتَجَّ بَعْضُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ عَلَى الْعَالِمِ بِحَدِيثِ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ
قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ قَالَ نَعَمْ
قَالَ فَهَذِهِ قِرَاءَةٌ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ ضِمَامٌ قَوْمَهُ بِذَلِكَ
فَأَجَارُوهُ وَاحْتَجَّ مَالِكُ بِالصَّكِّ يُقْرَأُ عَلَى الْقَوْمِ فَيَقُولُونَ أَشْهَدْنَا فَلَانَّ
وَيُقْرَأُ ذَلِكَ قِرَاءَةً عَلَيْهِمْ وَيُقْرَأُ عَلَى الْمُقْرِي فَيَقُولُ الْقَارِي أَقْرَأَنِي فَلَانَّ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْوَاسِطِيُّ عَنْ عَوْفٍ
عَنْ الْحَسَنِ قَالَ لَا بَأْسَ بِالْقِرَاءَةِ عَلَى الْعَالِمِ وَأَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ
الْفِرْبَرِيُّ وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
مُوسَى عَنْ سُفْيَانَ قَالَ إِذَا قُرِيَ عَلَى الْمُحَدِّثِ فَلَا بَأْسَ أَنْ يَقُولَ حَدَّثَنِي
قَالَ وَسَمِعْتُ أَبَا عَاصِمٍ يَقُولُ عَنْ مَالِكٍ وَسُفْيَانَ الْقِرَاءَةَ عَلَى الْعَالِمِ
وَقِرَاءَتُهُ سَوَاءٌ

63 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُونُسَ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ سَعِيدِ هُوَ الْمُقْبَرِيُّ
عَنْ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ بَيْنَمَا
نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى
جَمَلٍ فَأَنَاحَهُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ وَالنَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَكِيٌّ بَيْنَ ظَهْرَانِهِمْ فَقُلْنَا هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَكِيُّ
فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ

أَجَبْتُكَ فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي سَأَلْتُكَ فَمُشِدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمُسْأَلَةِ فَلَا تَجِدُ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ فَقَالَ سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ فَقَالَ أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ اللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ فَقَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ قَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ قَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَانِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَيَّ فَقَرَأْنَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ نَعَمْ فَقَالَ الرَّجُلُ آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ وَأَنَا رَسُولٌ مِّنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي وَأَنَا ضِمَامٌ بِنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ رَوَاهُ مُوسَى وَعَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَنِ سُلَيْمَانَ عَنِ ثَابِتٍ عَنِ أَنَسِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا

7 باب مَا يُذَكِّرُ فِي الْمُنَاوَلَةِ وَكِتَابِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْعِلْمِ إِلَى الْبُلْدَانِ

وَقَالَ أَنَسُ نَسَخَ عُثْمَانُ الْمُصَاحِفَ فَبَعَثَ بِهَا إِلَى الْأَفَاقِ وَرَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ وَمَالِكُ ذَلِكَ جَائِزًا وَاحْتَجَّ بَعْضُ أَهْلِ الْجِجَارِ فِي الْمُنَاوَلَةِ بِحَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ كَتَبَ لِأَمِيرِ السَّرِيَّةِ كِتَابًا وَقَالَ لَا تَقْرَأْهُ حَتَّى تَبْلُغَ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمَكَانَ قَرَأَهُ عَلَى النَّاسِ وَأَخْبَرَهُمْ بِأَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

64 - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ صَالِحِ
عَنْ ابْنِ شَهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ عَبْدَ
اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بِكِتَابِهِ
رَجُلًا وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ فَدَفَعَهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى
كِسْرَى فَلَمَّا قَرَأَهُ مَرَّقَهُ فَحَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ الْمُسَيَّبِ قَالَ فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُمَرِّقُوا كُلَّ مُمَرِّقٍ

65 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ أَبُو الْحَسَنِ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ
عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا
أَوْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُمْ لَا يَفْرُءُونَ كِتَابًا إِلَّا مَخْتُومًا فَاتَّخَذَ خَاتَمًا
مِنْ فِضَّةٍ نَقَشَهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ كَاتِبِي أَنْظُرْ إِلَى بَيَاضِهِ فِي يَدِهِ فَقُلْتُ
لِقَتَادَةَ مَنْ قَالَ نَقَشَهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ أَنَسُ

8 باب مَنْ قَعَدَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ وَمَنْ رَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلَقَةِ
فَجَلَسَ فِيهَا

66 - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي
طَلْحَةَ أَنَّ أَبَا مَرَّةَ مَوْلَى عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ عَنْ أَبِي وَاقِدِ اللَّيْثِيِّ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ
إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَذَهَبَ وَاحِدٌ قَالَ فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا

أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ
وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفْرِ الثَّلَاثَةِ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ وَأَمَّا
الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَاعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ

9 بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبُّ مَبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ

67 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا بِشْرٌ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَعَدَ
عَلَى بَعِيرِهِ وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخَطَامِهِ أَوْ بِزِمَامِهِ قَالَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا فَسَكَّتْنَا
حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ قَالَ أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ قُلْنَا بَلَى قَالَ
فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا فَسَكَّتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ فَقَالَ أَلَيْسَ
بِيَدِي الْحِجَّةِ قُلْنَا بَلَى قَالَ فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ
حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ
الْغَائِبَ فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ

10 بَابُ الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ

لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى {فَاعَلِمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ
وَرِثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَرَتُّوا الْعِلْمَ مَنْ أَخَذَهُ أَحَدٌ بِحِظِّ وَافِرٍ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا
يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ. وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ {إِنَّمَا يَخْشَى

اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءِ{وَقَالَ{وَمَا يَعْلَمُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}{وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} وَقَالَ{هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يُرِدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفْهِمَهُ. وَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ. وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ لَوْ وَضَعْتُمْ الصَّمْصَمَةَ عَلَى هَذِهِ وَأَشَارَ إِلَى قَفَاهُ ثُمَّ ظَنَنْتُ أَبِي أَنْفَذَ كَلِمَةً سَمِعْتُهَا مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ تُجِيزُوا عَلِيَّ لِأَنْفَذْتُهَا وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ{كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}{حُلَمَاءَ فُقَهَاءَ وَيُقَالُ الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ

11 باب مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالْعِلْمِ كَيْ لَا يَنْفِرُوا

68 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ قَالَ أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا

69 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو التَّيَّاحِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا

12 باب مَنْ جَعَلَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَيَّامًا مَعْلُومَةً

70 - حَدَّثَنَا عَثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ قَالَ أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمَلِّكُمْ وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا

13 باب مَنْ يُرِدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ

71 - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَفِيرٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ عَنْ يُونُسَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ قَالَ حَمِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ خَطِيبًا يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ يُرِدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ

14 بَابُ الْفَهْمِ فِي الْعِلْمِ

72 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ قَالَ لِي ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَمْ أَسْمَعْهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا قَالَ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُ بِجُمَارٍ فَقَالَ إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ شَجْرَةً مَثَلُهَا كَمَثَلِ الْمُسْلِمِ

فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ فَسَكَتُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِيَ النَّخْلَةُ

15 بَابُ الْإِغْتِبَاطِ فِي الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ

وَقَالَ عُمَرُ تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوِّدُوا

73 - حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ
عَلَى غَيْرِ مَا حَدَّثَنَاهُ الرَّهْرِيُّ قَالَ سَمِعْتُ قَيْسَ بْنَ أَبِي حَازِمٍ قَالَ سَمِعْتُ
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا حَسَدَ إِلَّا فِي
اِثْنَتَيْنِ رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلِطَ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ
الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا

16 بَابُ مَا ذَكَرَ فِي ذَهَابِ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْبَحْرِ إِلَى الْخَضِرِ وَقَوْلِهِ
تَعَالَى {هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا}

74 - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ غُرَيْرٍ الرَّهْرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ
حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ صَالِحٍ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ حَدَّثَهُ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
أَخْبَرَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالْحُرُّ بْنُ قَيْسِ بْنِ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ
فِي صَاحِبِ مُوسَى قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هُوَ خَضِرٌ فَمَرَّ بِهِمَا أَبُو بْنُ كَعْبٍ
فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ إِنِّي تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى

الَّذِي سَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ شَأْنَهُ قَالَ نَعَمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ قَالَ مُوسَى لَا فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى بَلَى عَبْدُنَا خَضِرٌ فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَيْهِ فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً وَقِيلَ لَهُ إِذَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ وَكَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ فَقَالَ مُوسَى فَتَاهُ {أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْينَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ} قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا فَوَجَدَا خَضِرًا فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا الَّذِي قَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ

17 باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ عَلِّمْنِي الْكِتَابَ

75 - حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ قَالَ حَدَّثَنَا خَالِدٌ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ ضَمَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ اللَّهُمَّ عَلِّمْنِي الْكِتَابَ

18 باب متى يصحُّ سماعُ الصَّغِيرِ

76 - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ
عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ أَقْبَلْتُ رَاكِبًا
عَلَى جِمَارٍ أَتَانِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ قَدْ نَاهَزْتُ الْإِحْتِلَامَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِمِئَى إِلَى غَيْرِ جِدَارٍ فَمَرَزْتُ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضِ الصَّفِّ
وَأُرْسَلْتُ الْأَتَانِ تَرْتَعُ فَدَخَلْتُ فِي الصَّفِّ فَلَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ عَلَيَّ

77 - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مُسْهِرٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ
حَرْبٍ حَدَّثَنِي الزُّبَيْدِيُّ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَ عَقَلْتُ مِنْ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ
مِنْ دَلْوٍ

19 باب الخُروجِ في طلبِ العِلمِ

وَرَحَلَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ فِي حَدِيثٍ
وَاحِدٍ

78 - حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ خَالِدُ بْنُ خَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ قَالَ
الْأَوْزَاعِيُّ أَخْبَرَنَا الزُّهْرِيُّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالْحُرُّ بْنُ قَيْسٍ بْنِ حِصْنِ الْقَرَارِيِّ فِي
صَاحِبِ مُوسَى فَمَرَّ بِهِمَا أَبُو بْنُ كَعْبٍ فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ إِنِّي
تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى الَّذِي سَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقَيْهِ

هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ شَأْنَهُ فَقَالَ أُبَيُّ نَعَمْ
سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ شَأْنَهُ يَقُولُ بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَأٍ
مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ أَتَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ قَالَ مُوسَى
لَا فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى بَلَى عَبْدُنَا خَضِرُ فَسَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى
لُقَيْيهِ فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً وَقِيلَ لَهُ إِذَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ
سَتَلْقَاهُ فَكَانَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ فَقَالَ فَتَى
مُوسَى لِمُوسَى {أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا
أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ} قَالَ مُوسَى {ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى
آثَارِهِمَا قَصَصًا} فَوَجَدَا خَضِرًا فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا مَا قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ

20 باب فضيل من علم وعلم

79 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ
اللَّهِ عَنْ أَبِي بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَثَلُ
مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا
فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قِيلَتْ الْمَاءُ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا
أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا
وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَاءً
فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فُقِدَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعِلِمٌ وَعَلْمٌ وَمَثَلُ
مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ قَالَ أَبُو

عَبَدَ اللّٰهَ قَالَ اِسْحَاقُ وَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَيَّلَتْ الْمَاءَ قَاعٌ يَعْلُوهُ الْمَاءُ
وَالصَّفْصَفُ الْمُسْتَوِي مِنَ الْاَرْضِ

21 بَابُ رَفْعِ الْعِلْمِ وَظُهُورِ الْجَهْلِ

وَقَالَ رَبِيعَةُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يُضَيِّعَ نَفْسَهُ

80 - حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مَيْسَرَةَ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ عَنْ
أَنْسِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ
أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ وَيَظْهَرَ الزِّنَا.

81 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنْسِ قَالَ
لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ
وَيَظْهَرَ الزِّنَا وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ وَيَقِلَّ الرِّجَالُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيْمُ
الْوَاحِدُ

22 بَابُ فَضْلِ الْعِلْمِ

82 - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَفِيرٍ قَالَ حَدَّثَنِي اللَّيْثُ قَالَ حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ حَمْرَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتَيْتُ بِقَدَحٍ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي ثُمَّ أُعْطِيتُ فَضَلِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالُوا فَمَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْعِلْمُ

23 باب الْفُتْيَا وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى الدَّابَّةِ وَغَيْرِهَا

83 - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عِيسَى بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِمِئَى لِلنَّاسِ يَسْأَلُونَهُ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَمْ أَشْعُرْ فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ فَقَالَ أَذْبَحْ وَلَا حَرَجَ فَجَاءَهُ آخَرَ فَقَالَ لَمْ أَشْعُرْ فَتَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ قَالَ ارْمِ وَلَا حَرَجَ فَمَا سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ قَدِمَ وَلَا آخَرَ إِلَّا قَالَ أَفْعَلْ وَلَا حَرَجَ

24 باب مَنْ أَجَابَ الْفُتْيَا بِإِشَارَةِ الْيَدِ وَالرَّأْسِ

84 - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ قَالَ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ فِي حَجَّتِهِ فَقَالَ ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ قَالَ وَلَا حَرَجَ قَالَ حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ وَلَا حَرَجَ

85 - حَدَّثَنَا الْمُكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ أَخْبَرَنَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ سَالِمٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يُقْبَضُ الْعِلْمُ وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ وَالْفِتْنُ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْهَرْجُ فَقَالَ هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَفَهَا كَأَنَّهُ يُرِيدُ الْقَتْلَ

86 - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ قَالَ حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ فَاطِمَةَ عَنْ أَسْمَاءَ قَالَتْ أَتَيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ تُصَلِّي فَقُلْتُ مَا شَأْنُ النَّاسِ فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ فَقَالَتْ سُبْحَانَ اللَّهِ قُلْتُ آيَةُ فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا أَيَّ نَعَمٍ فَقُمْتُ حَتَّى تَجَلَّانِي الْعَشِيُّ فَجَعَلْتُ أَصْبُ عَلَى رَأْسِي الْمَاءَ فَحَمِدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرَيْتُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فَأَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ أَوْ قَرِيبَ لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ يُقَالُ مَا عَلِمْتُكَ يَهَذَا الرَّجُلِ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُؤْمِنَةُ لَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا قَالَتْ أَسْمَاءُ فَيَقُولُ هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا هُوَ مُحَمَّدٌ ثَلَاثًا فَيُقَالُ نَمَّ صَالِحًا قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا بِهِ وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوْ الْمُرْتَابُ لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُ

25 باب تحريض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا من وراءهم

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ قَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْجِعُوا إِلَى
أَهْلِيكُمْ فَعَلِمُوهُمْ

87 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي
جَمْرَةَ قَالَ كُنْتُ أُتْرَجِمُ بَيْنَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَبَيْنَ النَّاسِ فَقَالَ إِنَّ وَفَدَ عَبْدُ
الْقَيْسِ أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَنْ الْوَفْدُ أَوْ مَنْ الْقَوْمُ
قَالُوا رَبِيعَةُ فَقَالَ مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَرَّيَا وَلَا نَدَامَى قَالُوا إِنَّا
نَأْتِيكَ مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْعِيَّ مِنْ كُفَّارٍ مُضَرٍّ وَلَا
نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي شَهْرِ حَرَامٍ فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا نَدْخُلُ
بِهِ الْجَنَّةَ فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَتَهَاوَمَهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
وَحَدَهُ قَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحَدَهُ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ
شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ
الزَّكَاةِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ وَتَعْطَاؤُ الْخُمْسِ مِنَ الْمَغْنَمِ وَتَهَاوَمَهُمْ عَنِ الدُّبَاءِ
وَالْحَنْتَمِ وَالْمُرْقَتِ قَالَ شُعْبَةُ رُبَّمَا قَالَ النَّقِيرِ وَرُبَّمَا قَالَ الْمُقَيَّرِ قَالَ
احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوهُ مَنْ وَرَاءَكُمْ

26 باب الرِّحْلَةِ فِي الْمَسْأَلَةِ النَّازِلَةِ وَتَعْلِيمِ أَهْلِهِ

88 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِقَاتٍ أَبُو الْحَسَنِ قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ أَخْبَرَنَا
عُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ
عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّهُ تَزَوَّجَ ابْنَتَهُ لِأَبِي إِهَابِ بْنِ عَزِيزٍ فَآتَتْهُ امْرَأَةً فَقَالَتْ
إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُ عُقْبَةَ وَاللَّي تَزَوَّجَ فَقَالَ لَهَا عُقْبَةُ مَا أَعْلَمُ أَنَّكَ أَرْضَعْتِنِي
وَلَا أَخْبَرْتِنِي فَرَكِبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ فَسَأَلَهُ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ
وَنَكَحَتْ زَوْجًا غَيْرَهُ

27 باب التَّنَاوُبِ فِي الْعِلْمِ

89 - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ ح قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَقَالَ
ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنَا يُونُسُ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي
ثَوْرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَنْ عُمَرَ قَالَ كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الْأَنْصَارِ
فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ التُّزُولَ عَلَى رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرٍ
ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فَزَلَّ صَاحِبِي
الْأَنْصَارِيُّ يَوْمَ نَوَيْتِهِ فَضْرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا فَقَالَ أَتَمَّ هُوَ فَفَزِعْتُ
فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَإِذَا
هِيَ تَبْكِي فَقُلْتُ طَلَّقَكَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ لَا أَدْرِي

ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ أَطَلَقْتَ نِسَاءَكَ قَالَ لَا فَقُلْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ

28 باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره

90 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ قَالَ أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنْ ابْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا أَكَادُ أُدْرِكُ الصَّلَاةَ مِمَّا يُطَوَّلُ بِنَا فَلَانَ فَمَا رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِنِي فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مُنْفِرُونَ فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةَ

91 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ قَالَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ الْمَدِينِيُّ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ يَزِيدَ مَوْلَى الْمُنَبِّعِثِ عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ اللَّقْطَةِ فَقَالَ اعْرِفْ وَكَاءَهَا أَوْ قَالَ وَعَاءَهَا وَعِفَاصَهَا ثُمَّ عَرَفَهَا سَنَةً ثُمَّ اسْتَمْتَعَ بِهَا فَإِنْ جَاءَ رُبُّهَا فَأَدِّهَا إِلَيْهِ قَالَ فَضَالَّةُ الْإِبِلِ فَعَضِبَ حَتَّى احْمَرَّتْ وَجَنَّتَاهُ أَوْ قَالَ احْمَرَّ وَجْهُهُ فَقَالَ وَمَا لَكَ وَلَهَا مَعَهَا سِقَاؤُهَا وَحِدَاؤُهَا تَرِدُ الْمَاءَ وَتَرَعَى الشَّجَرَ فَذَرَهَا حَتَّى يَلْقَاهَا رُبُّهَا قَالَ فَضَالَّةُ الْغَنَمِ قَالَ لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلدَّيْنِ

92 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدٍ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَشْيَاءٍ كَرِهَهَا فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ غَضِبَ ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ قَالَ رَجُلٌ مَنْ أَبِي قَالَ أَبُوكَ حُدَافَةُ فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

29 باب مَنْ بَرَكَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ عِنْدَ الْإِمَامِ أَوْ الْمُحَدِّثِ

93 - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ قَالَ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الرَّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُدَافَةَ فَقَالَ مَنْ أَبِي فَقَالَ أَبُوكَ حُدَافَةُ ثُمَّ أَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ سَلُونِي فَبَرَكَ عُمَرُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا فَسَكَتَ

30 باب مَنْ أَعَادَ الْحَدِيثَ ثَلَاثًا لِيُفْهَمَ عَنْهُ

فَقَالَ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ بَلَغْتُ ثَلَاثًا

94 - حَدَّثَنَا عَبْدُهُ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ حَدَّثَنَا ثُمَامَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلَاثًا وَإِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا

95 - حَدَّثَنَا عَبْدُهُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ حَدَّثَنَا ثُمَامَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا

96 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ أَبِي بَشِيرٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ مَاهَكَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ تَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ سَافَرْتَاهُ فَأَذْرَكْنَا وَقَدْ أَرْهَقْنَا الصَّلَاةَ صَلَاةَ الْعَصْرِ وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ فَجَعَلْنَا نَمْسُحُ عَلَى أَرْجُلِنَا فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا

31 باب تعليم الرجل أمته وأهله

97 - أَخْبَرَنَا مُحَمَّدٌ هُوَ ابْنُ سَلَامٍ حَدَّثَنَا الْمُحَارِبِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ حَيَّانَ قَالَ قَالَ عَامِرُ الشَّعْبِيِّ حَدَّثَنِي أَبُو بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللَّهِ

وَحَقَّقَ مَوَالِيَهُ وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا وَعَلَّمَهَا
فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ ثُمَّ قَالَ عَامِرٌ
أَعْطَيْتَاكَهَا بِغَيْرِ شَيْءٍ قَدْ كَانَ يُرَكَّبُ فِيمَا دُونَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ

32 بَابُ عِظَةِ الْإِمَامِ النَّسَاءِ وَتَعْلِيمِهِنَّ

98 - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَيُّوبَ قَالَ سَمِعْتُ عَطَاءً
قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ أَشْهَدُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ
قَالَ عَطَاءٌ أَشْهَدُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
خَرَجَ وَمَعَهُ بِلَالٌ فَظَنَّ أَنَّهُ لَمْ يُسْمِعْ فَوَعَّظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ
فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تُلْقِي الْقُرْطَ وَالْخَاتَمَ وَبِلَالٌ يَأْخُذُ فِي طَرْفِ ثَوْبِهِ وَقَالَ
إِسْمَاعِيلُ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ عَطَاءٍ وَقَالَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَشْهَدُ عَلَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

33 بَابُ الْجَرِصِ عَلَى الْحَدِيثِ

99 - حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي
عَمْرٍو وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمُقْبَرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ قِيلَ يَا
رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ

أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ

34 بَابُ كَيْفَ يُقْبَضُ الْعِلْمُ

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ انظُرْ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاكْتُبْهُ فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ وَذَهَابَ
الْعُلَمَاءِ وَلَا تَقْبَلْ إِلَّا حَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلْتَفْشُوا الْعِلْمَ
وَلْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعَلَّمَ مَنْ لَا يَعْلَمُ فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا
حَدَّثَنَا الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ
اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ بِذَلِكَ يَعْنِي حَدِيثَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى قَوْلِهِ ذَهَابَ
الْعُلَمَاءُ

100 - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ
عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ
وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ
رُءُوسًا جُهَالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا قَالَ الْفِرْبَرِيُّ
حَدَّثَنَا عَبَّاسٌ قَالَ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ هِشَامٍ نَحْوَهُ

35 بَابُ هَلْ يُجْعَلُ لِلنِّسَاءِ يَوْمٌ عَلَى حِدَةٍ فِي الْعِلْمِ

101 - حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ الْأَصْبَهَانِيِّ قَالَ سَمِعْتُ
أَبَا صَالِحٍ ذَكَوَانَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَتْ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَلَبْنَا عَلَيْكَ الرَّجَالُ فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ
فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ فَوَعظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ فَكَانَ فِيهَا مَا قَالَ لَهُنَّ مَا
مِنْكُمْ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ فَقَالَتْ
امْرَأَةٌ وَاثْنَتَيْنِ فَقَالَ وَاثْنَتَيْنِ

102 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَصْبَهَانِيِّ عَنْ ذَكَوَانَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِذَا وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَصْبَهَانِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا
حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ ثَلَاثَةٌ لَمْ يَبْلُغُوا الْجَنَّةَ

36 باب مَنْ سَمِعَ شَيْئًا فَلَمْ يَفْهَمْهُ فَرَاجَعُ فِيهِ حَتَّى يَعْرِفَهُ

103 - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ أَخْبَرَنَا نَافِعُ بْنُ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ
أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ لَا تَسْمَعُ
شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ أَوْلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ
تَعَالَى {فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا} قَالَتْ فَقَالَ إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ
وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكُ

37 بَابُ لِيُبَلِّغَ الْعِلْمَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ

قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

104 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ حَدَّثَنِي اللَّيْثُ قَالَ حَدَّثَنِي سَعِيدٌ هُوَ ابْنُ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ أَبِي شُرَيْحٍ أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرٍو بْنِ سَعِيدٍ وَهُوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ اثْنَدَن لِي أَيْهَا الْأَمِيرُ أُحَدِّثُكَ قَوْلًا قَامَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ سَمِعْتُهُ أُذْنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي وَأَبْصَرْتُهُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ حَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا وَلَا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا فَقُولُوا إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ وَلِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ. فَقِيلَ لِأَبِي شُرَيْحٍ مَا قَالَ عَمْرٍو قَالَ أَنَا أَعْلَمُ مِنْكَ يَا أَبَا شُرَيْحٍ لَا يُعِيدُ عَاصِيًّا وَلَا فَارًّا بِدَمٍ وَلَا فَارًّا بِخَيْرَةٍ

105 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادٌ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ذُكِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ قَالَ مُحَمَّدٌ وَأَحْسِبُهُ قَالَ وَأَعْرَاضُكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا أَلَّا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ

وَكَانَ مُحَمَّدٌ يَقُولُ صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ ذَلِكَ أَلَا
هَلْ بَلَغْتَ مَرَّتَيْنِ

39 بَابُ إِثْمِ مَنْ كَذَبَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

106 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ قَالَ أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ قَالَ أَخْبَرَنِي مَنْصُورٌ قَالَ
سَمِعْتُ رَبِيعِيَّ بْنَ جِرَاشٍ يَقُولُ سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجِ النَّارَ

107 - حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ عَامِرِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قُلْتُ لِلزُّبَيْرِ إِنِّي لَا أَسْمَعُكَ تُحَدِّثُ عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا يُحَدِّثُ فُلَانٌ وَفُلَانٌ قَالَ أَمَا إِنِّي لَمْ
أُفَارِقْهُ وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ

108 - حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ أَنَسٌ
إِنَّهُ لَيَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ

109 - حَدَّثَنَا مَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ عَنْ سَلَمَةَ قَالَ
سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ يَقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَّبِعُوا
مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ

110 - حَدَّثَنَا مُوسَى قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ أَبِي حَصِينٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلَا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي وَمَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ

39 باب كِتَابَةِ الْعِلْمِ

111 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ قَالَ أَخْبَرَنَا وَكَيْعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ قُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ قَالَ لَا إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ أَوْ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ قَالَ قُلْتُ فَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ قَالَ الْعَقْلُ وَفَكَالُ الْأَسِيرِ وَلَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ

112 - حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ قَالَ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ يَحْيَى عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ خُرَاعَةَ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ بِقَتِيلٍ مِنْهُمْ قَتَلُوهُ فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَخَطَبَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْقَتْلَ أَوْ الْفَيْلَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ كَذَا قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ وَاجْعَلُوهُ عَلَى الشَّكِّ الْفَيْلَ أَوْ الْقَتْلَ وَغَيْرُهُ يَقُولُ الْفَيْلَ وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ أَلَا وَإِنَّهَا لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ بَعْدِي أَلَا وَإِنَّهَا حَلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ أَلَا وَإِنَّهَا سَاعَتِي هَذِهِ حَرَامٌ لَا يُخْتَلَى شَوْكَهَا وَلَا يُعْضَدُ شَجَرُهَا وَلَا

تَلْتَقَطُ سَاقِطَهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ فَمَنْ قُتِلَ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ إِمَّا أَنْ يُعْقَلَ
وَإِمَّا أَنْ يُقَادَ أَهْلُ الْقَتِيلِ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ اكْتُبْ لِي يَا
رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ اكْتُبُوا لِأَبِي فَلَانٍ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا الْإِذْخَرَ يَا
رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّا نَجْعَلُهُ فِي بَيْوتِنَا وَفُجُورِنَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إِلَّا الْإِذْخَرَ إِلَّا الْإِذْخَرَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ يَقَالُ يُقَادُ بِالْقَافِ فَقِيلَ لِأَبِي
عَبْدِ اللَّهِ أَيُّ شَيْءٍ كَتَبَ لَهُ قَالَ كَتَبَ لَهُ هَذِهِ الْخُطْبَةُ 113 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ
بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُو قَالَ أَخْبَرَنِي وَهْبُ بْنُ
مُنَبِّهٍ عَنْ أَخِيهِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَمْرٍو فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ تَابَعَهُ مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

114 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ قَالَ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ
ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَمَّا اشْتَدَّ بِالنَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ قَالَ انْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَا
تَضِلُّوهُ بَعْدَهُ قَالَ عُمَرُ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَلَبَهُ الْوَجَعُ
وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللَّهِ حَسْبُنَا فَاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّغَطُ قَالَ قَوْمُوا عَيِّي وَلَا
يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ إِنَّ الرِّزِيَّةَ كُلَّ الرِّزِيَّةِ مَا حَالَ
بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ كِتَابِهِ

40 بَابُ الْعِلْمِ وَالْعِظَةِ بِاللَّيْلِ

115 - حَدَّثَنَا صَدَقَهُ أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الرَّهْرِيِّ عَنْ هِنْدٍ عَنِ
أُمِّ سَلَمَةَ وَعَمْرٍو وَيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنِ الرَّهْرِيِّ عَنْ هِنْدٍ عَنِ أُمِّ سَلَمَةَ
قَالَتْ اسْتَيْقِظَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ
مَاذَا أَنْزَلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفَتَنِ وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ أَيَقِظُوا صَوَاحِبَاتِ
الْحَجَرِ قُرْبَ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ

41 باب السَّمْرِ فِي الْعِلْمِ

116 - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَفِيرٍ قَالَ حَدَّثَنِي اللَّيْثُ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ
بْنُ خَالِدِ بْنِ مُسَافِرٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَالِمٍ وَأَبِي بَكْرٍ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ
أَبِي حَتْمَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمَرَ قَالَ صَلَّى بِنَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْعِشَاءَ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ فَقَالَ أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ فَإِنَّ
رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ

117 - حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَكَمُ قَالَ سَمِعْتُ سَعِيدَ
بْنَ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ بَتُّ فِي بَيْتِ خَالَتِي مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ زَوْجِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهَا فِي
لَيْلَتِهَا فَصَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِشَاءَ ثُمَّ جَاءَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَصَلَّى
أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ثُمَّ نَامَ ثُمَّ قَامَ ثُمَّ قَالَ نَامَ الْغُلَيْمُ أَوْ كَلِمَةً تُشْبِهُهَا ثُمَّ قَامَ
فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ فَصَلَّى خَمْسَ رَكَعَاتٍ ثُمَّ صَلَّى
رُكْعَتَيْنِ ثُمَّ نَامَ حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيطَهُ أَوْ خَطِيطَهُ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ

42 بَابِ حِفْظِ الْعِلْمِ

118 - حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَلَوْلَا آيَاتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا ثُمَّ يَتْلُو{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ إِلَىٰ قَوْلِهِ الرَّحِيمِ{إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانُوا يَشْغَلُهُمْ الصَّفَقُ بِالْأَسْوَاقِ وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ كَانُوا يَشْغَلُهُمُ الْعَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِبَعِ بَطْنِهِ وَيَحْضُرُ مَا لَا يَحْضُرُونَ وَيَحْفَظُ مَا لَا يَحْفَظُونَ

119 - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَبُو مُصْعَبٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ دِينَارٍ عَنْ ابْنِ أَبِي ذَيْبٍ عَنْ سَعِيدِ الْمُقْبَرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنْسَاهُ قَالَ ابْسُطْ رِدَاءَكَ فَبَسَطْتُهُ قَالَ فَغَرَفَ بِيَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ ضَمَّهُ فَضَمَّمْتُهُ فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا بَعْدَهُ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ بِهَذَا أَوْ قَالَ غَرَفَ بِيَدَيْهِ فِيهِ

120 - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي أَخِي عَنْ ابْنِ أَبِي ذَنْبٍ عَنْ سَعِيدِ الْمُقْبَرِيِّ
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَاءَيْنِ
فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبِتُّنْتُهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَتُّنْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ

44 بَابُ الْإِنْصَاتِ لِلْعُلَمَاءِ

121 - حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ مُدْرِكٍ عَنْ أَبِي
زُرْعَةَ عَنْ جَرِيرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ
اسْتَنْصِصْتُ النَّاسَ فَقَالَ لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ
بَعْضٍ

45 بَابُ مَا يُسْتَحَبُّ لِلْعَالِمِ إِذَا سُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَيَكِلُ الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ

122 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُو قَالَ
أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّ نَوْفًا الْبِكَالِيَّ يَزْعُمُ
أَنَّ مُوسَى لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ فَقَالَ كَذَبٌ
عَدُوُّ اللَّهِ حَدَّثَنَا أَبُو بِنْتِ كَعْبٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ مُوسَى
النَّبِيُّ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَقَالَ أَنَا أَعْلَمُ
فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرِدْ الْعِلْمَ إِلَيْهِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي
بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ قَالَ يَا رَبِّ وَكَيْفَ بِهِ فَقِيلَ لَهُ احْمِلْ
حُوتًا فِي مِكَتَلٍ فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ تَمَّ فَاَنْطَلَقَ وَانْطَلَقَ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ

وَحَمَلًا حُوتًا فِي مِكْتَلٍ حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا وَنَامَا
فَانَسَلَّ الْحُوتُ مِنَ الْمِكْتَلِ {فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا} وَكَانَ لِمُوسَى
وَفَتَاهُ عَجَبًا فَاَنْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ مُوسَى
لِفَتَاهُ {أَتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا} وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى مَسًّا
مِنَ النَّصَبِ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ {أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا
إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ} قَالَ مُوسَى {ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا
عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا} فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ إِذَا رَجُلٌ مُسَجَّى بِثُوبٍ أَوْ
قَالَ تَسَجَّى بِثُوبِهِ فَسَلَّمَ مُوسَى فَقَالَ الْخَضِرُ وَأَتَى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ فَقَالَ
أَنَا مُوسَى فَقَالَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ نَعَمْ قَالَ {هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ
تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رَشَدًا} قَالَ {إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} يَا مُوسَى إِنِّي
عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكُهُ لَا
أَعْلَمُهُ {قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا} فَاَنْطَلَقَا
يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ
فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا فَعَرِفَ الْخَضِرُ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ فَجَاءَ
عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَتَقَرَّرَ نَقْرَهُ أَوْ نَقَرْتَيْنِ فِي الْبَحْرِ فَقَالَ
الْخَضِرُ يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عَلَيَّ وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَنَقَرَةِ هَذَا
الْعُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنَ الْأَوْحِ السَّفِينَةِ فَتَرَعَهُ
فَقَالَ مُوسَى قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ
أَهْلَهَا {قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} قَالَ لَا تَوَاخِذْنِي بِمَا

نَسِيتُ {فَكَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نَسِيَانًا فَانْطَلَقَا فَإِذَا غَلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ
الْغِلْمَانِ فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلَاهُ فَاقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ
مُوسَى {أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ} {قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ
مَعِيَ صَبْرًا} قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ وَهَذَا أَوْكَدُ {فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ
اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ
فَأَقَامَهُ} قَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ فَأَقَامَهُ فَقَالَ لَهُ مُوسَى {لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ
عَلَيْهِ أَجْرًا} قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ {قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا

46 باب مَنْ سَأَلَ وَهُوَ قَائِمٌ عَالِمًا جَالِسًا

123 - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ قَالَ أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ أَبِي
مُوسَى قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
مَا الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنِ أَحَدُنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً فَرَفَعَ إِلَيْهِ
رَأْسَهُ قَالَ وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ قَائِمًا فَقَالَ مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ
كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

47 باب السُّؤَالِ وَالْفُتْيَا عِنْدَ رَمِي الْجِمَارِ

124 - حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ
عَيْسَى بْنِ طَلْحَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ عِنْدَ الْجَمْرَةِ وَهُوَ يُسْأَلُ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ
أُرْمِيَ قَالَ أَرِمْ وَلَا حَرَجَ قَالَ آخَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَنْحَرَ قَالَ
انْحَرْ وَلَا حَرَجَ فَمَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ وَلَا أُجِرَ إِلَّا قَالَ افْعَلْ وَلَا حَرَجَ

48 باب قول الله تعالى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً

125 - حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ حَفْصٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ
سُلَيْمَانُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ بَيْنَا أَنَا أُمِّشِي مَعَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرْبِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ مَعَهُ
فَمَرَّ بِنَقْرِ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ وَقَالَ
بَعْضُهُمْ لَا تَسْأَلُوهُ لَا يَجِيءُ فِيهِ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِنَسَائِلَتِهِ
فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا الرُّوحُ فَسَكَتَ فَقُلْتُ إِنَّهُ يُوحَى
إِلَيْهِ فَقُمْتُ فَلَمَّا انْجَلَى عَنْهُ قَالَ {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ
رَبِّي} وَمَا أوتُوا مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا قَالَ الْأَعْمَشُ هَكَذَا فِي قِرَاءَتِنَا

48 باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه
فَيَقْعُوا فِي أَشَدِّ مِنْهُ

126 - حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْأَسْوَدِ
قَالَ قَالَ لِي ابْنُ الزُّبَيْرِ كَأَنْتَ عَائِشَةُ تُسِرُّ إِلَيْكَ كَثِيرًا فَمَا حَدَّثْتَنِي فِي
الْكَعْبَةِ قُلْتُ قَالَتْ لِي قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا عَائِشَةُ لَوْلَا

قَوْمِكِ حَدِيثٌ عَنْهُمْ قَالَ ابْنُ الرُّبَيْرِ بِكُفْرِ لِنَقَضَتْ الكَعْبَةَ فَجَعَلَتْ لَهَا
بَابَيْنِ بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ وَبَابٌ يَخْرُجُونَ فَفَعَلَهُ ابْنُ الرُّبَيْرِ

49 بَابٌ مَنْ خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهِيَةً أَنْ لَا يَفْهَمُوا

127 - وَقَالَ عَلِيُّ حَدِيثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتَحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى عَنْ مَعْرُوفِ بْنِ خَرَّبُودٍ عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ عَنْ
عَلِيِّ بِذَلِكَ

128 - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي
عَنْ قَتَادَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَمُعَاذُ رَدِيْفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ قَالَ لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
وَسَعْدَيْكَ قَالَ يَا مُعَاذُ قَالَ لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا قَالَ مَا مِنْ
أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا
حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا
قَالَ إِذَا يَتَكَلَّمُوا وَأَخْبِرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتِمًا

129 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا
قَالَ ذَكَرَ لِي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِمُعَاذٍ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا
يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ قَالَ أَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا أَخَافُ أَنْ
يَتَكَلَّمُوا

50 باب الحياء في العلم

وَقَالَ مُجَاهِدٌ لَا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ مُسْتَعْيِي وَلَا مُسْتَكْبِرٌ وَقَالَتْ عَائِشَةُ نِعَمَ
النِّسَاءِ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ لَمْ يَمْنَعْنِ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهَنَّ فِي الدِّينِ

130 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ حَدَّثَنَا هِشَامُ عَنْ
أَبِيهِ عَنْ زَيْنَبِ ابْنَةِ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي
مِنَ الْحَقِّ فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلِ إِذَا احْتَلَمَتْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ تَعْنِي وَجْهَهَا وَقَالَتْ يَا رَسُولَ
اللَّهِ وَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ قَالَ نَعَمْ تَرَبَّتْ يَمِينُكَ فِيمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا

131 - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ عَبْدِ
اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ
شَجْرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَهِيَ مِثْلُ الْمُسْلِمِ حَدَّثُونِي مَا هِيَ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي
شَجَرِ الْبَادِيَةِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهُا النَّخْلَةُ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَاسْتَحْيَيْتُ
فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبَرْنَا بِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِيَ
النَّخْلَةُ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي فَقَالَ لَأَنْ تَكُونَ قُلْتُمَا
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا

51 باب مَنْ اسْتَحْيَا فَأَمَرَ غَيْرَهُ بِالسُّؤَالِ

132 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دَاوُدَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ مُنِيرِ الثَّوْرِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ كُنْتُ رَجُلًا مَذَاءً فَأَمَرْتُ الْمُقَدَّادَ بْنَ الْأَسْوَدِ أَنْ يَسْأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ فَقَالَ فِيهِ الْوُضُوءُ

52 بَابُ ذِكْرِ الْعِلْمِ وَالْفِتْيَانِ فِي الْمَسْجِدِ

133 - حَدَّثَنِي قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا نَافِعٌ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَجُلًا قَامَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ أَيِّنَ تَأْمُرُنَا أَنْ نُهَلَّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهَلُّ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ وَيَهَلُّ أَهْلُ الشَّامِ مِنَ الْجُحْفَةِ وَيَهَلُّ أَهْلُ نَجْدٍ مِنْ قَرْنٍ وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَيَهَلُّ أَهْلُ الْيَمَنِ مِنْ يَلْمَمَ وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ لَمْ أَفْقَهُ هَذِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

53 بَابُ مَنْ أَجَابَ السَّائِلَ بِأَكْثَرِ مِمَّا سَأَلَهُ

134 - حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذُنْبٍ عَنِ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ سَالِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ مَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ فَقَالَ لَا يَلْبَسُ الْقَمِيصَ وَلَا الْعِمَامَةَ وَلَا السَّرَاوِيلَ وَلَا الْبُرُنْسَ وَلَا ثَوْبًا مَسَّهُ الْوَرَسُ أَوْ

الزَّعْفَرَانُ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ النَّعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسِ الْخُفَّيْنِ وَلْيَقْطَعْهُمَا حَتَّى يَكُونَا
تَحْتَ الْكَعْبَيْنِ

خطبة قُسِّ بن ساعد الإيادي

كان قس بن ساعدة الإيادي من حكماء العرب قبل الإسلام، وقد تُوفِّي حوالي عام 600م، ولقد ضُرِبَ بِهِ المَثَلُ في الخطابة والبلاغة والحكمة.

كان يَدِين بالتوحيد، ويؤمن بالبعث، ويدعو العرب إلى نبذ العكوف على الأوثان ويرشدهم إلى عبادة الحق. ويقال إنه أول من خطب على شرف، وأول من قال في خطبه "أما بعد" وأول من اتكأ على سيف أو عصا في خطابه، وكان الناس يتحاكمون إليه، وهو القائل: "البينة على من ادعى، واليمينُ على من أنكر". وسمعه النبي قبل البعثة يخطب في عكاظ فأثنى عليه. وعمر قسّ طويلاً ومات قُبيل البعثة.

ومن خطبه التي خطبها في سوق عكاظ قبل ظهور الإسلام، ومما قاله فيها:

«أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا وَعُوا، مَنْ عَاشَ مَاتَ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ.. مطر ونبات وأرزاق وأقوات وآباء وأمّهات وأحياء وأموات جمع وأشتات، لَيْلٌ دَاجٌ، وَمَهَارٌ سَاجٌ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، وَأَرْضٌ ذَاتُ فَجَاجٍ، وَبِحَارٌ ذَاتُ أَمْوَاجٍ، وَمِهَادٌ مَوْضُوعٌ، وَسَقْفٌ مَرْفُوعٌ، وَنَجُومٌ تَمُورٌ، وَبِحَارٌ لَا تَغُورُ، وَنُجُومٌ تَزْهَرُ، وَبِحَارٌ تَزْخَرُ.. إِنَّ فِي السَّمَاءِ لَخَبْرًا، وَإِنَّ فِي الْأَرْضِ

لِعِبْرًا، مَا بَالُ النَّاسِ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ؟!، أَرْضُوا فَأَقَامُوا، أَمْ تُرْكُوا
فَنَامُوا؟، تَبًا لِأُرْيَابِ الْغَفْلَةِ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ وَالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ. يَا
مَعِشَرَ إِيَادٍ.. يَا مَعِشَرَ إِيَادٍ: أَيُّنَ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادُ؟، وَأَيُّنَ الْفَرَاعِنَةُ
السِّدَادُ؟، أَلَمْ يَكُونُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ مَالًا وَأَطْوَلَ أَجَالًا؟، طَحَمَهُمُ الدَّهْرُ
بِكُلِّكَلِهِ، وَمَرَّقَهُمُ بَتَطَاوُلِهِ.. يَقْسِمُ (قَس) بِاللَّهِ قَسَمًا لَا إِثْمَ فِيهِ إِنْ لَلَّهِ
دِينًا هُوَ أَرْضَى لَكُمْ وَأَفْضَلَ مِنْ دِينِكُمْ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ
مِنَ الْأَمْرِ مَنكَرًا».

ويُروى أنه أنشد بعدها، فقال:

في الداهبين الأولي	نَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ
لما رأيت موارد	للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها	تمضى الأكابر والأصاغِرُ
لا يرجع الماضي إلى	ولا من الباقيين غابر
أيقنتُ أني لا محَا	لَهَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرًا ¹

1 الهاشبي، السيد أحمد. جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب. بيروت: دار
المعرفة، 2015. ط4. ص440.

خطبة أبي بكر عند تولية الخلافة

هو أبو بكر عبد الله بن أبي قُحَافَةَ القرشيُّ. وُلِدَ بعد الرسول محمد (ص) بسنتين، وكان أول الرجال إسلاماً. شَهِدَ المَشَاهِدَ كُلَّهَا وأمره الرسول أن يَخُجَّ بالمسلمين في السنة التاسعة. وبعد موت النبي بآيَعَهُ المسلمون بالخِلافة، وبعد البيعة قال هذه الخُطبة المشهورة التي حثَّ فيها على الصدق والجهاد في سبيل الله تعالى، وحذَّر من المَعْصِيَةِ ومن مُخَالَفَةِ وِلِيِّ الأَمْرِ مادام مُطِيعاً لله تعالى. دامت خلافتُه سنتين وثلاثة أشهرٍ وَعَشْرَ لِيَالٍ، وكانت وفاته رضي الله عنه سنة ثلاثَ عَشْرَةَ من الهجرة. تكَلَّمَ أبو بكر بعد أن بآيَعَهُ الناسُ بالخِلافة فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عليه بالذي هو أَهْلُهُ ثم قال:

"أما بعدُ، أَيُّهَا الناسُ فَإِنِّي قد وُليْتُ عليكم ولست بخيركم فَإِن أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي وَإِن أَسَأْتُ فَقومُونِي. الصِدْقُ أمانةٌ وَالكَذِبُ خِيَانَةٌ. وَالضَعِيفُ فيكم قويٌّ عندي حتى أرجعُ إليه حقَّه إن شاء الله، والقويُّ فيكم ضعيفٌ عندي حتى أخذَ الحقَّ منه إن شاء الله. لا يَدْعُ قومُ الجِهَادِ في سبيلِ الله إلا حَذَلَهُم اللهُ بالدُّلِّ ولا تَشِيْعُ الفاحشَةُ في قومٍ إلا عَمَّهم اللهُ بالبلاءِ. أَطِيعُونِي ما أَطَعْتُ اللهُ ورسولَه فإذا عَصَيْتُ اللهُ ورسولَه فلا طاعةَ لي عليكم. قومُوا إلى صلواتكم يَرْحَمُكُمْ اللهُ"¹.

1 ابن كثير، الحافظ. البداية والنهاية، ج 6، ط 6. بيروت: دار المعارف، 1988. ص 301.

وصية أمامة بنت الحارث إلى ابنتها أم غياث

وهي وصية تطرب السامع، وتشنف المسامع، ينبغي لكل أمٍ حسيّفة
لَبَّة¹ رؤوم أن تتلوها على مسامع ابنتها عند الزفاف.

فقد ذكروا أن الحارث بن عمرو ملك كِنْدَةَ لما بلغه جمالُ ابنة عوف بن
مُحَلِّم الشيباني، وكمالها، وقوةُ عقلها، دعا امرأةً من كندة يُقال
لها: عصام، ذات عقل ولسان، وأدب وبيان، وقال لها: اذهبي حتى
تعلمي لي علم ابنة عوف. فمضت حتى انتهت إلى أمها، وهي أمامة بنت
الحارث، فأعلمتها بما قدّمت له.

فأرسلت أمامة إلى ابنتها، وقالت: أي بنية! هذه خالتك، أتتك لتنظر
إليك، فلا تستري عنها شيئاً إن أرادت النظر من وجه أو خلق، وناطقها
إن استنطقتك.

فدخلت إليها، فنظرت إلى ما لم تر قط مثله! فخرجت من عندها وهي
تقول: ترك الخِداع مَنْ كَشَفَ القناع، فأرسلتها مثلاً.

ثم انطلقت إلى الحارث، فلما رآها مقبلة قال لها: ما وراءك يا عصام؟.
قالت: صَحَّ المَحْضُ عن الرِّيد¹. رأيت جبهة كالمرآة المصقولة، يزينها

1 أم لَبَّة: أي مُجَبَّةٌ عاطفةٌ.

شعر حالك كأذنان الخيل، إن أَرْسَلْتَهُ خِلْتَهُ² السلاسل؛ وإن مشطته قلت: عناقيد جَلَاها الوابل. وحاجبين³ كأنما خُطَّأً بقلم، أو سُوداً بِحُمَمٍ⁴. تقوسا علي مثل عين ظَبْيِيَّةٍ عَمَّيرَةٍ⁵. بينهما أنف كحَدِّ السيف الصَّنِيع⁶، حَقَّتْ به وَجَنَّتَانِ كالأرجوان⁷، في بياض كالأجْمَانِ⁸، شُقَّ فيه فم كالخاتم، لذيدة المبتسم، فيه ثنايا غر ذات أَشْرٍ⁹، تَقَلَّبَ فيه لسان، ذو فصاحة وبيان، بعقل وافر، وجواب حاضر. تلتقي فيه شفتان حَمْرَوان، تجلبان ريقًا كالشهد إذا ذلك. في رقبة بيضاء كالفضة، رُكبت في صدر كصدر تمثال دُمِيَّة. وَعَضُدان مُدْمَجَان، يتصل بهما ذراعان، ليس فيهما عظم يُمَسُّ، ولا عرق يُجَسُّ. رُكبت فيهما

- 1 تعنى بالزبد: رغوة اللبن، وبالصریح: اللبن الذي تحته المحض، وهذا مثل يُضرب للصدق يحصل بعد الخبر المظنون "لسان العرب".
- 2 أي: ظننته وحسبته.
- 3 أي: ورأيت حاجبين.
- 4 الحُمَمُ: الفَحْمُ.
- 5 أي ممتلئة الجسم.
- 6 سيف صَنِيع: أي: مَجْلُوءٌ.
- 7 الأرجوان: شجر له نورٌ أحمرٌ أحسن ما يكون، وكل لون يشبهه فهو أرجوان.
- 8 واحده جُمَانة، وهي: حبة تُعْمَلُ من الفضة كالدُّرَّة.
- 9 تأشير الأسنان: تحزيرها وتحديد أطرافها، يقال: أَشَرَتِ المرأةُ أسنانها تَأْشِيرُها أَشْرًا. والتأشير ضربان: خلقة، وتصنعًا، والأخير منهى عنه شرعًا، والله أعلم.

كفان دقيقان قصبهما لين عصبهما، تعقد إن شئت منهما الأنامل... ثم ذكرت أوصافًا لا يجمع ذكرها في مثل كتابنا هذا.

فأرسل الملك إلى أبيها فخطبها، فزوجها إياه، وبعث بصادقها، فجهزت. فلما أراد أن يحملوها إلى زوجها، قالت لها أمها:

أي بنية، إن الوصية لو تُرِكَت لفضلِ أدبٍ، تُرِكَتْ لذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل.

ولو أن امرأة استغنت عن الخروج لغنى أبويها، وشدة حاجتهما إليها؛ كنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خُلِقْنَ، ولهن خُلِقَ الرجال.

أي بنية، إنك فارقت الجو الذي منه حَرَجْتِ، وخَلَقْتِ العُشَّ الذي فيه دَرَجْتِ، إلى وَكْرٍ لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيبًا ومليكًا. فكوني له أَمَةً يَكُنْ لكَ عبدًا وَشِيكًا.

يا بنية، احلمي عني خصالاً عَشْرًا، تكن لك ذخراً وذكراً .

- الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة .
- والتعهد لموقع عينه، والتفقد لموضع أنفه؛ فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح. والكحل أحسن الحسن الموجود، والماء أطيب الطيب المفقود .

- والتعهد لوقت طعامه، والهُدُوُّ عنه عند منامه؛ فإن حرارة الجوع- مَلْهَبَةٌ، وتنغيصَ النوم مبغضة.
- والاحتفاظ ببيته وماله، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله، وملاك الأمر في المال حسنُ التقدير، وفي العيال والحشم حسن التدبير.
- ولا تفتشي له سرًّا، ولا تعصي له أمرًا؛ فإنك إن أفضيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أُوغِرَتْ صدره.
- ثم اتقي مع ذلك الفرح إن كان تَرَحًّا¹، والاكْتِتَابُ عنده إن كان فرحًا؛ فإن الخصلة الأولى من التَّقْصِيرِ، والثانية من التَّكْدِيرِ. وكوني أشدَّ ما تكونين له إعظامًا؛ يكن أشدَّ ما يكون إكرامًا. وأشد ما تكونين له موافقةً؛ يكن أطول ما تكونين له مرافقة.
- واعلمي أنك لا تَصِلِينَ إلى ما تُحْبِبِينَ حتى تُؤْثِرِي رضاه على رضاك، وهواه على هواك، فيما أَحْبَبْتَ وكرهت، والله يَخِيرُ لك.
- فَحُمِلَتْ فَسُلِّمَتْ إليه، فَعَظُمَ مَوْقِعُهَا منه، وولدت له المملوك السبعة الذين ملكوا بعده اليمن.

Module V: Poetry

الوحدة الخامسة: الشعر

- معلقة عنترة (الأبيات التسع عشرة الأولى) من (هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم) إلى (أو روضة أنفا تضمن نبتها غيث قليل الدمن ليس بمعلم)
- معلقة زهير بن أبي سلمى – الأبيات الثلاث عشرة الأخيرة – من - سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش - إلى الأخير
- قصيدة ضمان المعروف وقاري الضيوف للخنساء – مطلعها: أعيني هلا تبكيا (ديوان الخنساء، سبعة عشر أبيات من الأول)
- قصيدة الفرزدق _ هذا الذي تعرف البطحاء وطأته (ديوان الفرزدق ص 511)

معلقة عنتره¹

اسمه: عنتره بن شداد بن معاوية، ويقال: عنتره بن معاوية بن شداد بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن قطيعة بن عبس. وشداد هو فارس جروة. وجروة فرسه. وكانت أم عنتره حبشية، وكان له من أمه إخوة عبيد، وكان من أشد الناس بأساً، وأجودهم بما يملك كفاً فجلس يوماً في مجلس من بعدما كان أبلَى واعترف به أبوه وأعتقه، فسأبه رجل من بني عبس، وذكر سواده وأمّه وإخوته، فسبّه عنتره وفجر عليه²، وكان فيما قال له: إني لأحضر البأس، وأفي المغنم وأعف عند المسألة، وأجود بما ملكت يدي، وأفضل الخطة الصمعاء. قال له الرجل: أنا أشعر منك. قال: ستعلم ذلك، فقال عنتره يذكر قتل معاوية بن نزال³، وهي أول كلمة قالها، وكانت العرب تسمي هذه القصيدة المذهبة⁴ (من الكامل):

-
- 1 من كتاب "شرح ديوان عنتره" للخطيب التبريزي. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1992. ص 147-157.
 - 2 أي: فسق، وتكلم بالفجور
 - 3 هو جد الأحنف بن قيس، وقد قُتل في أحد أيام داحس والغبراء.
 - 4 قد أرجع التبريزي سبب نظم المعلقة كما تذكر المصادر القديمة إلى الظروف التي أعقبت حرية عنتره واعتراف أبيه به. قيل إن واحداً من بني عبس شتمه وعيّرته

1. هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتْرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهُمِ
2. أَعْيَاكَ رَسْمُ الدَّارِ لَمْ يَتَكَلَّمِ حَتَّى تَكَلَّمَ كَالأَصَمِّ الأَعْجَمِ

قوله: «من متردم» من قولهم: ردمت الشيء إذا أصلحته وقويت ما وهي منه¹. يقول: «هل أبقى الشعراء لأحد معنى إلا وقد سبقوا إليه؟» وهذا كقولهم: هل ترك الأول للأخر شيئاً؟ وقوله: «أم هل عرفت الدار» أضرِبَ عما كان فيه، ثم استأنف السؤال عن معرفته بها بعد أن توهمها. والتوهم الإنكار، يقال: توهمت الشيء إذا أنكرته فتثبت منه وطلبت حقيقته، وإنما يريد أنه مر بالديار وقد خلت من أهلها، ودرست رسومها فلم يعرفها إلا بعد إنكاره لها وتثبته فيها. وقوله: «أعياك رسم الدار» أي: خفي رسم الدار عليك لدروسه فلم تستبين به الدار إلا بعد إنكار وتثبت، وضرب لذلك مثلاً بقوله: «لم يتكلم حتى تكلم كالأصم الأعجم»، أي: لا يبين لك أولاً، أهي الدار التي عهدت، أم لا حتى تبينها آخراً بعد جهد.

بأمة وسخر منه لسواد لونه فانبرى عنثرة يفتخر ببسالته ويصف فروسيته متحدياً خصمه الذي قال له: أنا أعظم شاعرية منك. فإذا صحت هذه الرواية تكون معلقة عنثرة أولى قصائده الطوال وأجودها لأنه لا يذكر له قبلها إلا الأبيات المتفرقة والمقاطع القصيرة.

1 ما وهي منه: ما ضعف

3 وَلَقَدْ حَبَسْتُ بِهَا طَوِيلًا نَاقَتِي أَشْكُو إِلَى سَفْعٍ رَوَاكِدِ جَثْمٍ

4 يَا دَارَ عَبَلَةٍ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي وَعَيِّي صَبَاحًا دَارَ عَبَلَةٍ وَأَسْلَمِي

قوله: حبست ناقتي في هذه الدار، أبكي لفراق أهلها وأشكو إلى رسومها وأطلالها.

والرواكد المقيمة الساكنة أراد بها الأثافي. والسفع السود تضرب إلى الحمرة، وكذلك لون الأثافي، والجثم اللاتئة بالأرض الثابتة فيها، وأصله من جَثَم الطائر إذا لصق بالأرض. وقوله: بالجواء هو جمع جَوّ وهو المطمئن من الأرض المتسع، ويقال: هو موضع بعينه. وقوله: "عمي صباحاً" يريد: أنعمي؟ وهي تحية أهل الجاهلية. وقوله: «واسلمي» دعاء لها بالسلامة من الدروس والتغير

5 دَارُ الْأُنْسَةِ غَضِيضٌ طَرْفُهَا طَوَعُ الْعِنَاقِ لَذِيذَةِ الْمُتَبَسِّمِ

6 فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقَتِي وَكَانَهَا فَدَنٌّ لِأَقْضِي حَاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ

الأنسة ذات الأنس، ويقال: الأنسة الطيبة تؤنس شخصا أي تُبصره، وليس بجار على الفعل، وإذا أبصرت شخصا ذعرت فمدت عنقها واشرأبت نحوه فتبينت محاسنها، فشبه بها المرأة لذلك. وقوله: واضييض طرفها، أي فاتر نظرها، وبذلك توصف المرأة حتى يقولون هي مريضة الطرف سقيمته، وبعينها سنة ونحو ذلك، وقوله: «طوع العناق» أي: لطيفة عند المعانقة متأنية كما قال النابغة الجعدي:

إذا ما الضجيع ثني جيدها تداعت عليه فكانت لباسا

وكقول امرئ القيس: تميل عليه هونة غير مجبال¹

وقوله: "لذيذة المتبسّم"، أي: لذيدة طعم الفم المتبسّم، ويروى: "المتبسّم" بفتح السين على أنه اسم لموضع التبسم، وقوله: فوقفت فيها ناقتي أي حبست على هذه الدار ناقتي لأقضي حاجتي من البكاء فيها، والسؤال عن أهلها،

وقوله: "وكأنها فدن" شبه ناقته في ضخمها وكمال خلقها بالفدن، وهو القصر. والمتلوم المنتظر المتمكث، يقال: تلوم علي ساعة أي انتظرتي وتربص علي، وأراد بالمتلوم نفسه، لأنه تلوم بالدار ليقضي حاجته منها².

7 وَتَحُلُّ عِبَلُهُ بِالْجَوَاءِ وَأَهْلُنَا بِالْحَزَنِ فَالْصَّمَانِ فَالْمُتَثَلِّمِ

8 حَيِّيَّتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ أَقْوَى وَ أَقْفَرَ بَعْدَ أُمَّ الْهَيْئِمِ

1 ديوانه ص 124، صدره: "إذا ما الضجيع ابتزها من ثيابها"

2 وجاء في شرح القصائد المشهورات لابن النحاس في شرح البيتين السابقين: قال أبو جعفر: كذا أنشدني بكسر السين والتقدير لذيدة الفم المتبسّم، ورفع دار على معنى هي دار وكذا أنشدني العناق بالقاف.

الحزن ما غلظ من الأرض وهو هاهنا موضع بعينه، وهو حزن تميم، والصّمان جبل تميم، والمتثلّم موضع. وقوله: «حييت من طلل» أي: أحياك الله، والطلل ما شخص من الدار من وتد وأري، وقوله: «تقادّم عهده» أي: طال عهده بأهله وقدم، فتغير لذلك، ومعنى أقوي خلا من أهله، والقواء الخالي.

9 شَطَّتْ مَزَارَ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحْتُ عَسِرًا عَلَيَّ طِلَابُكَ ابْنَةَ مَخْرَمٍ¹

10 عَلَّقْتُهَا عَرَضًا وَاقْتُلْ قَوْمَهَا زَعْمًا لَعَمْرُؤُا بِبَيْتِكَ لَيْسَ بِمَزْعَمٍ

شطت مزار العاشقين أي بعدت بموضع زيارتهم، أي: صارت بحيث لا تزار لبعد دارها، والعسر الممتنع المتعذر، وقوله: "طلابك" أي: مطالبتي لك ومرامي إياك، وخاطبها بقوله طلابك بعد أن أخبر عنها في صدر البيت، وهذا في الكلام والشعر كثير. وقوله: "علقتها عرضاً" أي: اعترضني حبه من غير أن أرومه

وأتعرض له، وأنا مع ذلك أقتل قومها وكيف أحبها وأنا أقتلهم وإنما يريد أن قومها أعداء له، فلا سبيل إليها، فأنكر لذلك حبه لها، فقال مخاطب نفسه: هذا فعل ليس بفعل، وضرب الزعم مثلاً، والزعم إنما هو في الكلام دون الفعل، وإنما يريد أن حبه لها ليس له ظاهر يوجبه

1 وفي نسخة: حَلَّتْ بِأَرْضِ الرَّائِرِينَ فَأَصْبَحْتُ عَسِرًا عَلَيَّ طِلَابُكَ ابْنَةَ مَخْرَمٍ

لقتله قومها فكأنه ليس بحب. ويكون أيضا الزعم هنا على أصله، أي ما زعمت من حبك لها ليس بزعم يعضده الصدق، ويوجبه الظاهر، فهو غير زعم في الحقيقة والنظر.

11 وَلَقَدْ نَزَلْتِ فَلَا تَظْنِي غَيْرَهُ مِثِّي بِمَنْزِلَةِ الْمُحِبِّ الْمُكْرَمِ

12 كَيْفَ الْمَزَارُ وَقَدْ تَرَبَّعَ أَهْلُهَا بَعْنَيْزَتَيْنِ وَأَهْلُنَا بِالْغَيْلِمِ

يقول: أنت عندي بمنزلة المحب المكرم، فلا تظني غير ذلك، وأجرى المحب على أصله من أحببت، والمستعمل في الكلام محبوب. وقوله: "كيف المزار" يقول: كيف لي أن أزورها وأهلها مرتبعون بموضع لا يرتبع به، وتربّع من الربيع بمنزلة تصيف من الصيف، أي: نزلوا عنيزتين في الربيع، وعنيزتان موضع، والغيلم موضع، وهو أيضا البئر الغزيرة الماء، وهو بالعين غير معجمة لأنها معلومة الموضع مشهورة.

13 إِنْ كُنْتِ أُرْمَعْتِ الْفِرَاقَ فَإِنَّمَا زُمَّتْ رِكَابُكُمْ بَلِيلٌ مُظْلِمٌ

14 مَا رَاعَنِي إِلَّا حَمُولَةٌ أَهْلُهَا وَسَطُ الدِّيَارِ تَسْفُ حَبَّ الْخَمْجِ

قوله: "أرْمعت" أي: أجمعت وعزمت على، يقول: إن كنتِ عزمتِ على الرحيل والفرار فقد زمت ركابكم أي: شددت وخطمت بالأزمة، وعليكم بقاء من الليل أي هذا أمر أبرتموه وتقدمتم فيه بليل مظلم وإنما

يعني أنهم فاجؤوه بالرحيل ولم يعلم به قبل، فذلك أشد عليه وأبعث لجزعه، وهذا كقول علقمة:

لم أثر بالبيّن حتى أزمعوا طعناً كلُّ الجمال قبيل الصبح مزمومٌ

وقوله: "ما راعني" أي: ما أفرعني يقول: لما جئت فنظرت إلى أهلها قد تحملوا أفرعني ذلك لفراقي إياها. والحمولة الإبل يُحمل عليها المتاع. والحمولة بضم الحاء المتاع نفسه. فإن حذف الهاء فهي الإبل التي تحمل عليها الهودج. ومعنى تسفّ تَأْكُل، والخمخم تَأْكُلها الإبل لها حبّ أسود، ويروى أيضا بالحاء غير معجمة. وقد يقال الخمخم برفع الخاء، وإنما راعه كون الحمولة وسط الدار لأنها كانت غادية في المرعى، فلما أرادوا الرحيل ردوها إلى الديار ليتحملوا عليها، فراعته ذلك.

15 فِيهَا اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ حَلُوبَةً سُوداً كَخَافِيَةِ الْغُرَابِ الْأَسْحَمِ

16 إِذْ تَسْتَبِيكَ بِذِي غُرُوبٍ وَاضِحٍ عَدَبٍ مُقْبَلُهُ لَذِيذِ الْمَطْعَمِ

يقول: في هذه الحمولة من النوق التي تحلب اثنتان وأربعون حلوبة، ويقال ناقة حلوبة وإبل حلوبة للتي تحلب. وقوله: «سودا» حال من قوله: اثنتان وأربعون، وهو حال من نكرة ويجوز رفعه على النعت ولا يكون نعنا للحلوبة لأنها مفردة إذ كانت تمييزاً للعدد، وسودة جمع ولا ينعت الواحد بالجمع، وإنما ذكر أن في إبلهم هذا العدد من الحلوبة السود ليخبر عن كثرتهم وكثرة إبلهم، لأنه إذا شرط أن فيها هذا العدد

من هذا الصنف على غرابته وقلته، فغيره من أصناف الإبل أكثر من أن يحصي عدده، وشبه سوادها بسواد خوافي الغراب وهي أواخر الريش من الجناح مما يلي الظهر، سميت بذلك لخفائها والأسحم الأسود، وإنما خص الخوافي لأنها أسبط وأشد بريقا وألين. وقوله: إذ تستبيك: أي تذهب بعقلك. والأصلي: الثغر البراق والناعم الشديد البياض الكثير البريق. وقوله: «عذب مقبله» أي هي طيبة رائحة الفم عذبة موضع التقبيل. وقوله: «لذيذ المطعم»، أي: إذا قبلته وجدت له طعما لذيذا وريحا طيبة

17 وَكَأَنَّمَا نَظَرْتُ بِعَيْنِي شَادِنٍ رَشْأً مِّنَ الْغِزْلَانِ لَيْسَ بِتَوَامٍ

18 وَكَأَنَّ فَأْرَةَ تَاجِرٍ بِقَسِيمَةٍ سَبَقَتْ عَوَارِضَهَا إِلَيْكَ مِنَ الْفَمِ

19 أَوْ رَوْضَةً أَنْفًا تَضْمَنَ نَبْهَهَا غَيْثٌ قَلِيلُ الدِّمَنِ لَيْسَ بِمُعْلَمٍ

الشادن: الغزال الذي قد شدا، أي قوي على المشي مع أمه. والرشأ من نعته وهو الحسن؛ وقوله: "ليس بتوأم" أي: لم يزاخمه غيره في بطن أمه ولا رضع معه غيره، فذلك أتم لخلقه وأحسن لنباته. وقوله: "وكان فأرة تاجر": الفأرة للمسك وهي نافحته، سميت بذلك لفورها إذا فتقت. وخص فأرة التاجر لأنه لا يتربص بالمسك إذ كان يتغير فمسكه أجود وأطيب، والقسيمة الجونة التي فيها الطيب، والقسيمة أيضا المرأة الحسناء واشتقاقها من القسما وهي ما عن يمين الأنف

وشماله من الوجه. وقوله: "سبقت عوارضها": أي سبقت نكهة الفأرة عوارضها إليك. والعوارض ما بعد اللثا من الأسنان. ويقال: هي الأنبياب نفسها ووصفها بطيب رائحة الفم. يقول: إذا أهويت إليها لتقبلها انتشرت من فمها رائحة طيبة، كالمسك وسبقت عوارضها إلى أنفك. الأنف التي لم ترع واشتقاقها من الاستئناف. والدمن: البعر، والمعلم المكان المشهور شبّه رائحة فمها بريح روضة كاملة النبات، وجعل ما أصاب نبتها من الغيث قليل الدم، أي: لم يصادف فيها دمنا لبعدها عن الناس، وقوله: «ليس بمعلم» أي: ليس بمشهور موضعها، فهو أحسن لنبتها وأتم له، وأبعد لها من أن توطأ وتدمن.

20 أو عاتقا من أذرعات مُعْتَقًا مما تَعَيَّنَهُ ملوكُ الأعجمِ

21 جَادَتْ عَلَيْهِ كُلُّ بَكْرٍ حَرَّةٍ فَتَرَكْنَ كُلَّ قَرَارَةٍ كالدَّرْهِمِ

وقوله: "جادت عليهما" هو من المطر الجود وهو الغزير. والعين مطر دائم أيام لا يقلع ويقال: العين ما نشأ من قبل القبلة من السحاب، والثرة الغزيرة، والحديقة مثل البستان يستقر فيه الماء وهي الروضة، وقوله: «كالدهرم» شبّه بياض الماء واستدارته حين امتلأت الحديقة منه بالدهرم.

معلقة زهير بن أبي سلمى¹

627 - 530م

هو زهير بن أبي سلمى²، من مُزينة. كان مشهوراً برزاقته وحبّه للسلام. وقد نظم معلقته هذه، وهي الثالثة في المعلقات، على أثر الحرب التي

1 من كتاب المعلقات السبع مع الحواشي المفيدة للزوزني: كراتشي: مكتبة البشري، 2011. من ص 71 و84 - 87

2 واسم أبي سلمى: ربيعة بن رياح بن قرة بن الحارث بن مازن، وينتهي نسبه إلى: مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان.

وهو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء، وإنما اختلفوا في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه. وأما الثلاثة فلا اختلاف فيهم، وهم: امرؤ القيس، وزهير، والنابغة الذبياني. وكان من حديث زهير، وأهل بيته أنهم كانوا من "مُزينة" إحدى قبائل مضر. وكان يقيم هو وأبوه وولده في منازل بني: عبد الله بن غطفان، بالحاجز من نجد، ولذلك كان يذكر في شعره بني مرة وغطفان ويمدحهم.

نشأ زهير فيهم، وهناك قال قصيدته المعلقة يذكر فيها قتل ورد بن حابس العبسي: هَرِمَ بن ضَمُضَم المَري، ويمدح فيها هرم بن سنان بن أبي حارثة، والحارث بن عوف، وسعد بن ذبيان المريين لأنهما احتملا ديته من مالهما. وكان زهير بعد ذلك يكثر من مدح هَرِم وأبيه سنان وله فيهما قصائد غر. فحلف هرم ألا يمدحه إلا أعطاه ولا يسأله إلا أعطاه ولا يسلم عليه إلا أعطاه عبداً أو وليدة

أو فرسًا. فاستحيا زهير من كثرة بذله له على كل حال، وجعل يتجنب مقابلته. وكان إذا رآه في محفل قال: "عموا صباحًا غير هَريم، وخيركم استثنيت." كان زهير قد رأى في منامه في آخر عمره أن آتياً أتاه فحمله إلى السماء حتى كاد يمسها بيده، ثم تركه فهوى إلى الأرض، فلما احتضر قصَّ رؤياه على ولده كعب. ثم قال: "إني لا أشك أنه كائن من خبر السماء بعدي، فإن كان فتمسكوا به وسارعوا إليه." ثم توفي قبل مبعث النبي عليه الصلاة والسلام بسنة. وكانت وفاته سنة: 609 لميلاد المسيح عليه الصلاة والسلام.

امتاز زهير بما نظمه من منثور الحكمة البالغة، وكثرة الأمثال وسني المدح، وتجنُّب وحشي الكلام، وعدم مدح أحد إلا بما فيه. وقد كان أحسن الشعراء شعراً، وأبعدهم عن سخف الكلام، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من اللفظ. وكان لزهير أخلاق عالية، ونفس كبيرة، مع سعة صدر وحلم وورع، وفرع القوم منزلته وجعلوه سيداً. وكثر ماله واتسعت ثروته. وكان مع ذلك عريقاً في الشعر. وكان لشعره تأثير كثير في نفوس العرب. وهو واسطة عقد الفحول من شعراء الطبقة الأولى.

وكان زهير شديد العناية بتنقيح شعره، حتى ضرب به المثل، وسميت قصائده بالجوليات، نسبة إلى الحول أي السنة، وذلك لأنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر، ويهذبها بنفسه في أربعة أشهر، ويعرضها على أصحابه الشعراء في أربعة أشهر، فلا يشهرها حتى يأتي عليها حول كامل.

معلقة زهير أشعر شعره. وقد جمعت ما أشبه كلام الأنبياء، وحكمة الحكماء ففيها الحكمة البالغة، والموعظة الحسنة، والأخلاق الفاضلة، والمعاني العالية

دارت رحاها بين عبس وفزارة بسبب سباق داحس فرس قيس بن زهير سيد بني عبس، والغبراء حُجرة حمل بن بدر سيد بني فزارة من غطفان.

وذلك أن زهيراً وحملأ تراهننا على مئة بعير، يدفعها من يخسر السباق إلى من يربحه. ولما كان اليوم المعين بعث حمل بن بدر من يكمن لداحس ويرده عن غايته إذا جاء سابقاً. ثم أرسل الفرسان فبرز داحس عن الغبراء حتى شارف الغاية ودنا من الكمين، فوثبوا عليه وردّوه فسبقت الغبراء.

وبعث حمل ابنه مالكاً إلى قيس يطلب منه حق السبق فأبي قيس دفعه وقتل مالكا، فكان ذلك باعثاً على الحرب. وقد طالبت هذه الحرب وكثر فيها القتلى حتى أصلح بين المتحاربين هرم بن سنان والحرث بن عوف، ودفعا الديات من مالهما. وقيل: إنها بلغت ثلاثة آلاف بعير. فنظم زهير معلقته يمدح بها المصلحين لحقنهما الدماء، ويحدّر الفريقين من شر الخيانة وإضمار الحرب، وقد توسّع في وصف الحرب ونتائجها المشؤومة، ثم ختم المعلقة بحكمه التي استحق بها لقب الشاعر الحكيم.

والأغراض النبيلة، أضف إلى ذلك ما حوته من الأساليب البلاغية، والكلام الجزل.

(هذه هي الأبيات الأخيرة من معلقة زهير بن أبي سلمى ومعلقته تبدأ ببيت: أَمِنْ أُمَّ
أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلِّمْ :: بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَّئِلِمِ)

سَمِّمْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشُ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَامُ

معاني المفردات: سئمت الشيء سامة: مللته. التكاليف: المشاق
الشدائد. لا أبا لك: كلمة جافية لا يراد بها الجفاء وإنما يراد بها التنبيه
والإعلام.

شرح البيت: يقول: مللت مشاق الحياة وشدائدها، ومن عاش ثمانين
سنة ملَّ الكبر لا محالة.

وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلكِنِّي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِي

شرح البيت: يقول: وقد يحيط علي بما مضى وما حضر، ولكني عميُّ
القلب عن الإحاطة بما هو منتظر متوقع.

رَأَيْتُ الْمُنَايَا حَبَطَ عَشَوَاءَ مِنْ نُصَبِ تُمَيْتُهُ وَمَنْ تُخَطِّئُ يُعَمَّرُ فَمِهْرَمِ

معاني المفردات: الخبط: الضرب باليد، العشواء: تأنيث الأعشى وهي
الناقة التي لا تبصر ليلاً. قوله: ومن تخطئ أي ومن تخطئه
العشواء، يعمر: التعمير: تطويل العمر.

شرح البيت: يقول: رأيت المنايا تصيب الناس على غير نسق وترتيب وبصيرة، كما أن هذه الناقاة تطأ على غير بصيرة، ثم قال: من أصابته المنايا أهلكته ومن أخطأته أبقته فبلغ الهرم.

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يُضَرَّسُ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَنْسِمٍ

معاني المفردات: يضرّس: الضرس: العض على الشيء بالضرس، والتضريس مبالغة المنسم للبعير: بمنزلة الحافر للفرس.

شرح البيت: يقول: ومن لم يصانع الناس ولم يدارهم في كثير من الأمور قهره وغلبه وأذله وربما قتلوه، كالذي يضرس بالناب ويوطأ بالمنسم.

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرَضِهِ يَفْرُهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِي الشَّتْمَ يُشْتَمُ

معاني المفردات: يفره: وفرت الشيء وفراً: أكثرته.

شرح البيت: يقول: ومن جعل معروفة ذاباً ذم الرجال عن عرضه، وجعل إحسانه واقياً عرضه وفر مكارمه، ومن لا يتق شتم الناس إياه شتم؛ يريد أن من بذل معروفه صان عرضه، ومن بخل معروفه عرض عرضه للذم والشتم.

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلُ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَى عَنْهُ وَيُدْمَمُ

شرح البيت: يقول: من كان ذا فضل ومال فبخل به استغني عنه وذم، فأظهر التضعيف على لغة أهل الحجاز؛ لأن لغتهم إظهار التضعيف في محل الجزم والبناء على الوقف.

وَمَنْ يُوفٍ لَا يُدَمِّمَ وَمَنْ يُهْدِ قَلْبُهُ إِلَى مُطْمَئِنِّ الْبِرِّ لَا يَتَجَمِّمَ

يوف: وفيت بالعهد أفي به. يتجمجم: يخفي كلامه ولا يبينه

يقول: ومن أوفى بعهده لم يلحقه ذم، ومن هدي قلبه إلى بر يطمئن القلب إلى حسنه ويسكن إلى وقوعه موقعه، لم يتردد ويتلأأ في إسدائه وإيلائه.

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمُنَايَا يَنْلِنُهُ وَإِنْ يَرْقُ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسَلَمٍ

معاني المفردات: رقي في السلم: صعد فيه،

شرح البيت: يقول: ومن خاف وهاب أسباب المنايا نالته، ولم يُجد عليه خوفه وهيبته إياها نفعًا ولو رام الصعود إلى السماء فرارًا منها.

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يَكُنْ حَمْدُهُ ذَمًّا عَلَيْهِ وَيَنْدِمَ

شرح البيت: يقول: ومن وضع أياديه في غير من استحقها، أي من أحسن إلى من لم يكن أهلًا للإحسان إليه والامتنان عليه، ذمّه الذي أحسن إليه ولم يحمده، وندم المحسن الواضع إحسانه في غير موضعه.

وَمَنْ يَعْصِي أَطْرَافَ الرِّجَاجِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِبَتْ كُلُّ لَهْدَمٍ

معاني المفردات: الرِّجَاج، جمع زُجِّ الرمح: وهو الحديد المركب في أسفله،

شرح البيت: يقول: ومن عصى أطراف الزجاج أطاع عوالي الرماح التي رُكِبَتْ فيها الأُسنة الطوال؛ والجمع العوالي، إذا التقت فئتان من العرب سددت كل واحدة منهما زجاج الرماح نحو صاحبها وسعى الساعون في الصلح، فإن أبتا إلا التماذي في القتال قلبت كل واحدة منها الرماح واقتلتا بالأُسنة. وتحرير المعنى: من أبى الصلح ذلته الحرب ولينته،

وَمَنْ لَمْ يَدُدْ عَن حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يُهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ

معاني المفردات: يَدُدُ: الذود: الكفُّ والرَّدع.

شرح البيت: يقول: ومن لا يكفّ أعداءه عن حوضه بسلاحه هدم حوضه، ومن كف عن ظلم الناس ظلّمه الناس، يعني ومن لم يحمّ حريمه استبيح واستعار الحوض للحريم.

وَمَنْ يَغْتَرِبُ يَحْسِبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ وَمَنْ لَمْ يُكْرِمْ نَفْسَهُ لَمْ يَكْرَمِ

شرح البيت: يقول: من سافر واغترب حسب الأعداء أصدقاء؛ لأنه لم يجربهم فتوقفه التجارب على ضمائر صدورهم، ومن لم يكرم نفسه بتجنب الدنيا لم يكرمه الناس.

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ

شرح البيت: يقول: ومهما كان للإنسان من خلق فظن أنه يخفى على الناس علم ولم يَخْفَ، والخلق والخليقة واحد، والجمع الأخلاق والخلائق، وتحريف المعنى: أن الأخلاق لا تخفى والتخلق لا يبقى.

وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ

معاني المفردات: كائن: صامت

شرح البيت: يقول: وكم صامت يعجبك صمته فتستحسنه وإنما تظهر زيادته على غيره ونقصانه عن غيره عند تكلمه.

لِسَانُ الْفَتَى نَصْفٌ وَنِصْفٌ فُوَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالِدَمِّ

شرح البيت: هذا كقول العرب: المرء بأصغريه لسانه وجنانه.

وَإِنَّ سَفَاهَ الشَّيْخِ لَا حِلْمَ بَعْدَهُ وَإِنَّ الْفَتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمُ

شرح البيت: يقول: إذا كان الشيخ سفيهاً لم يُجَحِّمْ؛ لأنه لا حال بعد الشيب إلا الموت، والفتى وإن كان نزيهاً أكسبه شيبه حلماً ووقاراً،

سَأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ وَعَدْنَا فَعُدْتُمْ وَمَنْ أَكْثَرَ التَّسْأَلِ يَوْمًا سَيُحْرَمُ

شرح البيت: يقول: سألناكم رفقكم ومعروفكم فعدتم بهما، فعدنا إلى السؤال وعدتم إلى النوال، ومن أكثر السؤال حرم يوماً لا محالة. والتسأل: السؤال: وتفعال من أبنية المصادر.

قصيدة ضمان المعروف وقاري الضيوف للخنساء

اسمها تماضر بنت عمرو السلمية (575م - 24 هـ / 645م)، صحابية وشاعرة مخضرمة من أهل نجد أدركت الجاهلية والإسلام وأسلمت، واشتهرت برثائها لأخويها صخر ومعاوية اللذين قتلوا في الجاهلية. لقبت بالخنساء بسبب ارتفاع أرنبتي أنفها.

كانت الخنساء شاعرة منذ عصر الجاهلية، وعندما قُتل أخاها صخر ومعاوية، حزنت حزناً شديداً وبكتهما في الجاهلية أعواماً طويلة وندبتهما بشعرها الحزين، وأسرفت في ذلك حتى امتلأ ديوانها بهذا الشعر الذي فيه الرثاء.

تميّزت شخصية الخنساء بالعديد من الملامح والصفات، وهي على النحو الآتي:

قوة الشخصية، حيث تميّزت الخنساء برأيها المتحرّر، وقوة شخصيتها، ويعود السبب في ذلك إلى نشأتها في رحاب بيت عزّ وجاه، حيث نظمت قصائد شعرية في التفاخر بكرم أهلها وجودهم، وخير دليل على قوة شخصيتها هو رفضها الزواج من دريد بن الصمة؛ وذلك لأنّها فضّلت الزواج بأحد أبناء قومها.

البلاغة وحسن المنطق والبيان.

الشجاعة وقوة التضحية، والتي تظهر في مواقفها بيوم القادسية، فعندما استشهد أولادها قالت: (الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم).

أنشدت في رثاء صخر أخيها¹:

أَعْيَيْ هَلَا تَبْكِيانِ عَلَى صَخْرٍ بَدَمِعٍ حَثِيثٍ لَا بَكِيٍّ وَلَا نَزْرٍ²
وَتَسْتَفْرِغانِ الدَّمْعَ أَوْ تَذْرِيانِهِ عَلَى ذِي النَّدى وَالْجودِ وَالسَّيِّدِ الْغَمْرِ
فَمَا لَكُمْ عَن ذِي يَمِينَيْنِ فَايْكِيَا عَلَيْهِ مَعَ الْباكيِ الْمُسَلَّبِ مِنْ صَبْرٍ³
كَأَنَّ لَمْ يَقُلْ أَهْلًا لِطالِبِ حاجَةٍ وَكَانَ بليجَ الْوَجْهِ مُنْشَرِحَ الصِّدْرِ⁴
وَلَمْ يَغْدُ فِي خَيْلٍ مُجَنَّبَةِ الْقَنَا لِيُرَوِيَ أَطْرافَ الرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ⁵
فَشَأْنُ الْمَنايَا إِذْ أَصابَكَ رَيْبُها لَتَغْدُو عَلَى الْفِتيانِ بَعْدَكَ أَوْ تَسْري
فَمَنْ يَضْمَنُ الْمَعْرُوفَ فِي صُلْبِ مالِهِ ضَمائِكَ أَوْ يَقْري الضُّيُوفَ كَمَا تَقْري

1 حمدو طماس. ديوان الخنساء. بيروت: دار المعارف. 2004. ص 48, 49

2 الحثيث: هو السريع، يقال حث في سيره إذا أسرع. البكيء: القليل

3 قيل: كان يقال الصخر أخي الخنساء ذو اليمينين لكثرة عطائه أو لأنه كان يستخدم يديه كليهما في الحرب. المسلب: من التسلب وهو لبس الثياب السود

4 بليج الوجه: طليقه

5 مجنبه القنا: الموضوعه على جنوبها الرماح

وَمَبْثُوثَةٌ مِثْلَ الْجَرَادِ وَرَعَّتَهَا لَهَا زَجَلٌ يَمَلَا الْقُلُوبَ مِنَ الدُّعْرِ¹
صَبَّحَتْهُمْ بِالْخَيْلِ تَرْدِي كَأَنَّهَا جَرَادٌ زَفَّتَهُ رِيحٌ نَجِدٍ إِلَى الْبَحْرِ²
وَكَابِنٍ قَرَنْتَ الْحَقَّ مِنْ ثُوبِ صَفْوَةٍ وَمِنْ سَائِحِ طَرْفٍ وَمِنْ كَاعِبٍ بِكَرٍ³
وَقَائِلَةٍ وَالنَّعْشُ قَدْ فَاتَ خَطْوَهَا لِتُدْرِكُهُ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى صَخْرِ
أَلَا تَكَلَّتْ أُمُّ الَّذِينَ مَشَاوَا بِهِ إِلَى الْقَبْرِ مَاذَا يَحْمِلُونَ إِلَى الْقَبْرِ
وَمَاذَا يُوَارِي الْقَبْرُ تَحْتَ تُرَابِهِ مِنَ الْخَيْرِ يَا بُؤْسَ الْخَوَادِثِ وَالْدَّهْرِ
وَمِ الْحَزْمِ فِي الْعِزَاءِ وَالْجُودِ وَالنَّدَى غَدَاةً يُرَى حِلْفَ الْيَسَارَةِ وَالْعُسْرِ⁴
لَقَدْ كَانَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُهْتَدَبًا جَلِيلَ الْأَيَادِي لَا يُتَهَنَّهُ بِالزَّجْرِ
وَإِنْ تَلَقَّهُ فِي الشَّرْبِ لَا تَلَقُ فَاحِشًا وَلَا نَاكِثًا عَقَدَ السَّرَائِرِ وَالصَّبْرِ
فَلَا يُبْعِدَنَّ قَابُرٌ تَضَمَّنَ شَخْصَهُ وَجَادَ عَلَيْهِ كُلُّ وَكَيْفَةِ الْقَطْرِ

1 مَبْثُوثَةٌ: صفة للخيل المنتشرة. وزعمتها: إذا رددتها. والزجل: الصوت.

2 تَرْدِي الخيل: إذا رجمت الأرض بحوافرها.

3 الحق: هو الحزم. الصفوة من الشيء: الخالص فيه.

4 مِ الحزم: من الحزم. والعزاء: الشدة

قصيدة فرزدق

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته¹

(البسيط)

لما حج هشام بن عبد الملك في أيام أبيه، طاف بالبيت وجهد أن يصل إلى الحجر الأسود ليستلمه، فلم يقدر على ذلك لكثرة الزحام، فنصب له كرسي وجلس عليه ينظر إلى الناس، ومعه جماعة من أعيان الشام. فبينما هو كذلك إذ أقبل الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فطاف بالبيت. فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم الحجر، فقال رجل من أهل الشام لهشام: من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام. وكان الفرزدق حاضرة، فقال: أنا أعرفه، ثم اندفع فأنشد هذه القصيدة التي أغضبت هشام فأمر بحبسه بين مكة والمدينة:

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءَ وَطَأْتَهُ، وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ²

1 فاعور، علي (شرح وضبط). ديوان الفرزدق. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1987. ص 511-514.

2 البطحاء: أصله المسيل الواسع فيه دقاق الحصى؛ وقال بعضهم: البطحاء كل موضع متسع؛ وهو موضع بعينه قريب من ذي قار، وبطحاء مكة وأبطحها، وكذلك بطحاء ذي الحليفة. (معجم البلدان: 1 ص 446). الوطأة: موضع القدم.

هذا ابن خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كَلِمًا،	هذا التَّقِيَّ النَّقِيِّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ ¹
هذا ابنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ،	بِجَدِّهِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ قَدْ خُتِمُوا ²
وَلَيْسَ قَوْلُكَ: مَنْ هَذَا؟ بَضَائِرِهِ،	الْعُرْبُ تَعْرِفُ مِنْ أَنْكَرَتْ وَالْعَجَمُ ³
كَلِمَا يَدِيهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا،	يُسْتَوْكِفَانِ، وَلَا يَعْرُوهُمَا عَدَمُ ⁴
سَهْلُ الْخَلِيقَةِ، لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ،	يَزِينُهُ اثْنَانِ: حُسْنُ الْخَلْقِ وَالشَّيْمُ ⁵
حَمَلٌ أَثْقَالٍ أَقْوَامٍ إِذَا افْتَدَحُوا،	حُلُو الشَّمَائِلِ، تَحْلُو عِنْدَهُ نَعَمُ ⁶
مَا قَالَ: لَا قَطُّ، إِلَّا فِي تَشْهُدِهِ،	لَوْلَا التَّشْهُدُ كَانَتْ لَاءُهُ نَعَمُ ¹

البيت: الكعبة. الحل: ما جاوز الحرم من الأرض. والحرم: ما لا يحل انتهاكه، ويراد به مكة وما جاورها من أرض. يقول: إن الممدوح يعرفه أهل الدنيا قاطبة.

- 1 العلم: كبير القوم وسيدهم.
- 2 فاطمة: بنت الرسول وزوج الإمام علي جد زين العابدين، أي أنه ابن بنت محمد خاتم النبيين.
- 3 ضائره: مضر به، أي محط من قدره.
- 4 غياث: غوث وعون. عم: شمل الناس عامة. استوكف: استقطر الماء واستدعى جريانه. عراه: ألم به. العدم: الفقر.
- 5 الخليفة: الطبع والسجية. البوادر، الواحدة بادرة: ما يبدو من الإنسان عند غضبه. الشيم: الأخلاق. يقول: هو حليم لا يُخشى غضبه.
- 6 افتدحوا: أثقلوا بالمصائب. الشمائل، الواحدة شميلة: الطبع والخصلة. أي أنه يساعد من تحل بهم المصائب ويجد لذة في الإجابة بنعم على كل طالب معونة.

عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ، فَانْقَشَعَتْ
إِذ رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا:
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ،
بِكَفِّهِ خَيْرُزَانَ رِيحَهُ عَبِقٌ،
يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ،
اللَّهُ شَرَفُهُ قِدْمًا، وَعَظَمَتُهُ،
عَمَّا الْغِيَابِ وَالْإِمْلَاقُ وَالْعَدَمُ²
إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرْمُ
فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ³
مَنْ كَفَّ أَرْوَعَ، فِي عِرْنِينِهِ شَمَمٌ⁴
رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ⁵
جَرَى بِذَلِكَ لَهُ فِي لُوحِهِ الْقَلَمُ⁶

- 1 التشهد: ما يقوله المسلم من شهادة بقوله: أشهد أن لا إله إلا الله . يقول: إن زين العابدين لا يعرف أن يقول: لا، إلا حينما يتلو الشهادة .
- 2 عم البرية: شمل الخليقة إحسانه. انقشعت: انجلت. الغياهب، الواحد غميب: وهو الظلمة . الإملاق: الفقر المدقع.
- 3 يغضي: يخفض الطرف. أي أنه يغض طرفه حياء، لكن الناس لعظم هيئته لا يرفعون إليه أبصارهم إلا إذا ابتسم لهم إيناسا.
- 4 العبق: الذي يفوح بالشذا والطيب. الأروع: من يروعك حسنه وشجاعته. العرنين: الأنف . الشمم: ارتفاع أرنبة الأنف مع حسنها واستوائها.
- 5 الراحة: الكف. الركن: الجانب الأقوى. الحطيم: ما بين ركن الكعبة والباب، وقيل جدار الكعبة. يستلم: يلمس للتبرك . أي أن حجر الكعبة نفسه يعرف كف زين العابدين فيكاد يمسكه أي يحبسه عنده شغفا به.
- 6 اللوح: الكتاب الذي يسطره القضاء والقدر لكل إنسان، أي أنه كتب له التعظيم منذ القدم .

أَيُّ الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ، لِأَوْلِيَّةِ هَذَا، أَوْلَهُ نَعَمْ
مَنْ يَشْكُرُ اللَّهَ يَشْكُرْ أَوْلِيَّةَ ذَا فَالِدَيْنِ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمَّمُ
يُنْهِى إِلَى ذُرُوءِ الدِّينِ الَّتِي قَصُرَتْ عَنْهَا الْأَكْفُ، وَعَنْ إِدْرَاكِهَا الْقَدَمُ¹
مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ الْأُمَّمُ²
مُشْتَقَّةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَبَعَتْهُ، طَابَتْ مَغَارِسُهُ وَالْخَيْمُ وَالشَّيْمُ³
يَنْشَقُّ تَوْبُ الدَّجَى عَنْ نَوْرِ غَرَّتِهِ كَالشَّمْسِ تَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلْمُ⁴
مِنْ مَعْشَرِ حَيْمِهِمْ دِينَ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ، وَقُرْبُهُمْ مَنَحَى وَمَعْتَصَمٌ⁵
مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ، فِي كُلِّ بَدْءٍ، وَمَخْتَوْمٌ بِهِ الْكَلِمُ⁶

- 1 يُنهي: ينسب. وقد ورد عجز البيت في بعض الروايات: "عن نيلها عرب الإسلام والعجم".
- 2 دان: خضع.
- 3 نبعته: شجرة تصنع منها القسي وهي أجود الشجر، والمقصود أصله الكريم. الحيم: السجية والطبيعة. يقول إن شجرته من أصل شجرة النبي P وقد طابت مغارسه وطابت سجاياه وأخلاقه.
- 4 ننجاب: تنكشف.
- 5 معشر: قوم. معتصم: ملجأ.
- 6 أي أن المسلم بعد أن يذكر الله في بدء الكلام وختامه يصلي ويسلم على النبي محمد وآله، ولذلك قال: ذكرهم بعد ذكر الله.

إِنْ عُدَّ أَهْلُ التَّقَى كَانُوا أُئِمَّتَهُمْ، أَوْقِيلُ: مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ؟ قِيلَ: هُمْ
لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بَعْدَ جُودِهِمْ، وَلَا يُدَانِيهِمْ قَوْمٌ، وَإِنْ كَرُمُوا¹
هُمُ الغُيُوثُ، إِذَا مَا أْزَمَتْ أْزَمَتْ، وَالْأَسَدُ أُسْدُ الشَّرَى، وَالْبَأْسُ مُحْتَدَمٌ²
لَا يُنْقِصُ العُسْرُ بَسْطًا مِنْ أَكْفِهِمْ سِيَانِ ذَلِكَ: إِنْ أَثَرُوا وَإِنْ عَدِمُوا
يُسْتَدْفَعُ الشَّرُّ وَالْبَلْوَى بِحَيِّهِمْ، وَيُسْتَرَبَّ بِهِ الإِحْسَانُ وَالنِّعَمُ³

1 ورد في صدر البيت بعد غايتهم، مكان "بعد جودهم".

2 الغيوث: الذين يغيثون الناس. الأزمة: الشدة. أزم: اشتدت. الشرى: بالفتح والقصر، وهو داء يأخذ في الرجل أحمر كهيئة الدرهم؛ وقال بعضهم: الشرى ماسدة بعينها، وقيل: شرى الفرات ناحيته به غياض وأجام تكون فيها الأسود. (معجم البلدان: 3 ص 330). والبأس: الشدة، الحرب.

3 يستدفع الشر: يبعد عنهم. يستر: يستزاد.

المصادر والمراجع

1. ابن كثير، الحافظ. البداية والنهاية، ج6، ط6. بيروت: دار المعارف، 1988 .
2. التبريزي، الخطيب. شرح ديوان عنتره. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1992.
3. حمدو طماس. ديوان الخنساء. بيروت: دار المعارف. 2004 .
4. الزوزني. المعلقات السبع، كراتشي: مكتبة البشري، 2011 .
5. السيوطي، الحافظ جلال الدين. التوشيح شرح الجامع الصحيح. الرياض: مكتبة الرشد .
6. الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير. ج2، ط4. بيروت: دار القرآن الكريم. 1981
7. الصابوني، محمد علي. مختصر تفسير ابن كثير. ج 2. بيروت: دار القرآن الكريم. 2009
8. ضيف، شوقي. تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي. ط11، القاهرة، دار المعارف.
9. العسقلاني، أحمد بن علي ابن حجر. فتح الباري. ج1. المكتبة السلفية .
10. فاعور، علي (شرح وضبط). ديوان الفرزدق. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1987.
11. الهاشحي، السيد أحمد. جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب. ط4. بيروت: دار المعرفة. 2015 .
12. <https://www.marefa.org/>
13. <https://mawdoo3.com/>
14. <https://sotor.com/>
15. <https://al-maktaba.org/>